# النعمة والحق

2025

1-2

Jan Feb

فبراير ٢٠٢٥

* الله يتلذذ بالإنسان!

* يعقوب من بيت إيل.. إلى إيل بيت إيل!

# النعمة والحق

مجلة مسيحية تصدر مرة كل شهرين

السنة الثالثة والثلاثون

يناير وفبراير ٢٠٢٥

العدد ١٩٣


## في هذا العدد


| | | |
|---|---|---|
| افتتاحية العدد | يتلذذ الرب بالبشر | ١ |
| موضوع العدد | يعقوب من بيت إيل إلى إيل بيت إيل | ٣ |
| موضوع العدد | دُعي اسمه يعقوب | ١٨ |
| موضوع العدد | يعقوب يتعلم التشَبُّث | ٢٣ |
| موضوع العدد | يعقوب | ٣١ |
| الأخبار السارة | يقدر أن يُغيِّر | ٤٤ |
| دراسات مسلسلة | حياة إرميا | ٤٥ |
| تأملات هادئة | النهاية المجيدة | ٥٤ |
| من روائع الكلمة | رموز تُشير إلى المسيح | ٥٥ |


الله يقدر أن يغيرنا ، ويبدل حالنا ، ويصحح مسارنا ويضمن مصيرنا معه. لكن كيف؟

**اقرأ الأخبار السارة**

**ص ٤٤**


- الاشتراك السنوي (٦ أعداد) ٣٠ جنيهاً و ١٠ دولارات في الخارج (بخلاف أجرة الإرسال بالبريد). بريد إلكتروني: gt_mag@yahoo.com
- جميع الحوالات والمراسلات على ص.ب. ١٩٧ - رقم بريدي ١٢٣١١ - الإسكندرية. مع مراعاة وضوح الاسم والعنوان كاملاً.
- رقم الإيداع بدار الكتب ٦٤٦٢ لسنة ١٩٩٣ - النعمة والحق ت: ٤٢١٢٤١٩ - الإسكندرية (٠٣).

بول ألبرتس

# يتلذذ الرب بالبشر

يقول الرب "لَذَّاتِي مَعَ بَنِي آدَمَ" (أمثال ٨: ٣١). وهو يناشد الجميع قائلاً: «فَٱلآنَ أَيُّهَا ٱلْبَنُونَ ٱسْمَعُوا لِي. فَطُوبَى لِلَّذِينَ يَحْفَظُونَ طُرُقِي. ٱسْمَعُوا ٱلتَّعْلِيمَ وَكُونُوا حُكَمَاءَ وَلَا تَرْفُضُوهُ. طُوبَى لِلإِنْسَانِ ٱلَّذِي يَسْمَعُ لِي سَاهِرًا كُلَّ يَوْمٍ عِنْدَ مَصَارِيعِي، حَافِظًا قَوَائِمَ أَبْوَابِي. لأَنَّهُ مَنْ يَجِدُنِي يَجِدُ ٱلْحَيَاةَ، وَيَنَالُ رِضًى مِنَ ٱلرَّبِّ» (أمثال ٨: ٣٢-٣٥).

نرى هذا النداء موجَّهًا إلى البشر في كلِّ مكان، كما كان أيضًا منذ خلق العالم. لاحظ علاقة ذلك بالأشخاص الذين نتحدث عنهم في هذه المجلة. على سبيل المثال، في مقالات هذا العدد، سنركِّز على شخصية يعقوب. فإن يعقوب لم يسمع لزمان طويل، وسعى في المقابل إلى فعل الأشياء بطريقته الخاصة. وعندما نقرأ الكتاب المقدس، يتجلّى لنا بوضوح تعامُل الرب مع يعقوب في طول أناة، طوال عقود من الزمن! وللأسف، قد يضطر الرب إلى التعامل معنا بطريقة مماثلة. فكم من الضروري أن نسمع له وأن نحفظ طرقه!

كذلك، في شخصية يعبيص، نجد شخصًا سمع التعليم وكان حكيمًا. فإن القليل الذي اختار اللّه أن يعلنه لنا عن يعبيص يقدِّم لنا مثالاً جيدًا لشخصٍ أراد أن يطلب الرب وبركته. فقد كان مخلصًا في إيمانه حديث العهد، ولم يهمله على الإطلاق.

طُرِح منذ فترة ليست ببعيدة سؤال من شخصٍ طلب من الرب أن يدخل إلى قلبه وهو شابٌّ، لكنه حاد عن الطريق منذ ذلك الحين. وتساءل هذا الرجل عمَّا إذا كان هناك أيُّ رجاء له في الرجوع إلى الرب. نقول إنه لا يوجد رجاء فحسب، بل توجد بركة أيضًا. يمكن لهذا الشخص أن يُذَكِّرنا بأهمية الوجود بشكل يومي في محضر الرب، في سهر وانتظار. وأيُّ شيء آخر سيؤدي إلى خسارة البركة، على أقل تقدير. لكن شكرًا للرب لأنه إله غفور بحق!

نقرأ أيضًا في مقال آخر عن امرأة كانت مهتمة بخلاصها. فقد تلقَّت تحذيرًا واستجابت له. وعندما وجدت الرب يسوع، وجدت الحياة، ونالت رضا من الرب. فهل فعلتَ أنت ذلك؟

ألا تضع ثقتك في الرب الآن؟ اسمح له بأن يعمل في حياتك، وينمي إيمانك، فيما تصغي إليه باهتمام. وعندئذ، سيباركك ذاك الذي لذاته مع بني آدم! ونحن نستطيع أن نخبرك كيف يمكن أن تفعل ذلك.

بول بالمر

أنجب إسحاق ورفقة التقيَّان توأمين، هما يعقوب وعيسو. فإننا نقرأ أن إسحاق «صَلَّى ... إِلَى ٱلرَّبِّ لأَجْلِ ٱمْرَأَتِهِ لأَنَّهَا كَانَتْ عَاقِرًا، فَٱسْتَجَابَ لَهُ ٱلرَّبُّ، فَحَبِلَتْ رِفْقَةُ ٱمْرَأَتُهُ ... فَقَالَ لَهَا ٱلرَّبُّ: فِي بَطْنِكِ أُمَّتَانِ، وَمِنْ أَحْشَائِكِ يَفْتَرِقُ شَعْبَانِ: شَعْبٌ يَقْوَى عَلَى شَعْبٍ، وَكَبِيرٌ يُسْتَعْبَدُ لِصَغِيرٍ. فَلَمَّا كَمُلَتْ أَيَّامُهَا لِتَلِدَ إِذَا فِي بَطْنِهَا تَوْأَمَانِ. فَخَرَجَ ٱلأَوَّلُ أَحْمَرَ، كُلُّهُ كَفَرْوَةِ شَعْرٍ، فَدَعَوْا ٱسْمَهُ «عِيسُوَ». وَبَعْدَ ذَلِكَ خَرَجَ أَخُوهُ وَيَدُهُ قَابِضَةٌ بِعَقِبِ عِيسُو، فَدُعِيَ ٱسْمُهُ يَعْقُوبَ» (تكوين ٢٥: ٢١، ٢٣-٢٦).

إن اسم يعقوب معناه "المتعقِّب" أو "المخادع". وسنرى في العديد من المواقف أنه كان اسمًا على مسمًّى بالفعل. ويمكن أن ينطبق عليه التعليق نفسه الذي انطبق على "نابال اللئيم" في أيام داود: «لِأَنَّ كَٱسْمِهِ هَكَذَا هُوَ» (١صموئيل ٢٥: ٢٥).

«كَانَ عِيسُو إِنْسَانًا يَعْرِفُ ٱلصَّيْدَ، إِنْسَانَ ٱلْبَرِّيَّةِ، وَيَعْقُوبُ إِنْسَانًا كَامِلاً يَسْكُنُ ٱلْخِيَامَ» (تكوين ٢٥: ٢٧). ففيما يتعلق بالسكنى في الخيام،

كان يعقوب مثل جدِّه وأبيه (عبرانيين ١١: ٩)، وهو ما يشير إلى أنهم كانوا «غُرَبَاءُ وَنُزَلاءُ عَلَى ٱلأَرْضِ» (عبرانيين ١١: ١٣). يوصَف المؤمنون أيضًا بأنهم «غُرَبَاءَ وَنُزَلاءَ» (١بطرس ٢: ١١)، ولذلك نوصَى بما يلي: «ٱهْتَمُّوا بِمَا فَوْقُ لا بِمَا عَلَى ٱلأَرْضِ» (كولوسي ٣: ٢). على النقيض، لوط، ابن أخي إبراهيم، جد يعقوب، تخلَّى عن حالة الغربة هذه ليسكن في بيتٍ في سدوم. ويُظهِر تكوين ١٩ مدى تأثير قراره الخاطئ هذا عليه.

## البكورية

أراد يعقوب، المحبوب من أمه، أن يكون دائمًا في الطليعة بغض النظر عن الوسيلة التي يحقِّق بها ذلك. وذات مرة، طبخ يعقوب طبيخًا، وإذ كان عيسو يشعر بالإعياء، سأل يعقوب أن يعطيه بعضًا منه، «فَقَالَ يَعْقُوبُ: «بِعْنِي ٱلْيَوْمَ بَكُورِيَّتَكَ ... ٱحْلِفْ لِيَ ٱلْيَوْمَ». فَحَلَفَ لَهُ، فَبَاعَ بَكُورِيَّتَهُ لِيَعْقُوبَ» (تكوين ٢٥: ٣١، ٣٣). فقد رأى يعقوب ضعف أخيه واستغلَّه ليحصل على البكورية. كانت البكورية معناها أن ينال الشخص شرف أن يكون رأسًا للعائلة بمباركةٍ من أبيه. علَّق اللاهوتي ويليام كيلي على ذلك قائلاً: "سعى يعقوب باجتهاد إلى الحصول على ذلك اللقب الذي كان بالنسبة لآبائه ونسله مرتبطًا بالبركة، وكان يعلم أن أخاه لا يقدِّر قيمة هذا اللقب بالقدر نفسه".

لسنا نَعلَم ما إذا كانت رفقة قد أخبرت يعقوب يومًا بأن الرب قال لها إن «كَبِيرٌ يُسْتَعْبَدُ لِصَغِيرٍ» (تكوين ٢٥: ٢٣)؛ لكن على أية حال، لم يكن يعقوب على استعداد أن ينتظر الله، بل رأى أنه يستطيع أن يستخدم

ذكائه وإمكانياته للحصول على البكورية. فقد تصرَّف بأنانية، وكانت النتيجة مرضية بالنسبة له إلى حين.

## البركة

في تكوين ٢٧، كذب يعقوب على أبيه الذي كان قد فقد بصره. تحسَّس إسحاق يعقوب واشتمه قبل أن يباركه، ظنًّا منه أنه عيسو. وبهذا، خدع يعقوب أباه. وبشأن هذا الأمر، كتب معلِّم الكتاب المقدس ماكينتوش يقول: "إن رأي اللّه لا بد أن يقوم، وهو سيفعل كلَّ مسرته. يعرف الإيمان هذه النهاية، وبموجب هذه المعرفة، يمكنه أن ينتظر توقيت اللّه. وهذا ما لا تستطيع الطبيعة البشرية أن تفعله، لكنها لا بد أن تسعى وراء تحقيق غاياتها الخاصة، باستخدام أساليبها الخاصة".

عندما انكشفت فعلة يعقوب، اضطر إسحاق أن يخبر عيسو بما حدث: «قَدْ جَاءَ أَخُوكَ بِمَكْرٍ وَأَخَذَ بَرَكَتَكَ. فَقَالَ: أَلا إِنَّ ٱسْمَهُ دُعِيَ يَعْقُوبَ، فَقَدْ تَعَقَّبَنِي ٱلآنَ مَرَّتَيْنِ! أَخَذَ بَكُورِيَّتِي، وَهُوَذَا ٱلآنَ قَدْ أَخَذَ بَرَكَتِي ... فَقَالَ عِيسُو لأَبِيهِ: أَلَكَ بَرَكَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَطْ يَا أَبِي؟» (تكوين ٢٧: ٣٥-٣٦، ٣٨). لم تكن لدى إسحاق سوى بركة واحدة، لكن عند إلهنا وأبينا بركات كثيرة. فإنه قد «بَارَكَنَا بِكُلِّ بَرَكَةٍ رُوحِيَّةٍ فِي ٱلسَّمَاوِيَّاتِ فِي ٱلْمَسِيحِ» (أفسس ١: ٣)، ولا يمكن لأيٍّ منها أن يُنزع منا البتة.

أبغض عيسو يعقوب بسبب ما فعله، وخطَّط لقتله بمجرد موت أبيهما. وعندما علمت رفقة بنيَّة عيسو، خططت لإرسال يعقوب إلى لابان أخيها في فدان أرام. وبهذا، مضى يعقوب في طريقه، ثم «صَادَفَ مَكَانًا وَبَاتَ هُنَاكَ لأَنَّ ٱلشَّمْسَ كَانَتْ قَدْ غَابَتْ، وَأَخَذَ مِنْ حِجَارَةِ ٱلْمَكَانِ وَوَضَعَهُ تَحْتَ رَأْسِهِ، فَٱضْطَجَعَ فِي ذَلِكَ ٱلْمَكَانِ» (تكوين ٢٨: ١١). كان قلب يعقوب لا يزال ماكرًا ومخادعًا، وكان لا يزال عليه أن يتعلَّم كيف يتكل على الرب. في وقت لاحق، أوصى سليمان ابنه بحكمةٍ قائلاً: «تَوَكَّلْ عَلَى ٱلرَّبِّ بِكُلِّ قَلْبِكَ، وَعَلَى فَهْمِكَ لَا تَعْتَمِدْ. فِي كُلِّ طُرُقِكَ ٱعْرِفْهُ، وَهُوَ يُقَوِّمُ سُبُلَكَ» (أمثال ٣: ٥-٦). وحدث في تلك الليلة أن اللّه أعطى يعقوب حلمًا: «وَرَأَى حُلْمًا، وَإِذَا سُلَّمٌ مَنْصُوبَةٌ عَلَى ٱلْأَرْضِ وَرَأْسُهَا يَمَسُّ ٱلسَّمَاءَ، وَهُوَذَا مَلَائِكَةُ ٱللّهِ صَاعِدَةٌ وَنَازِلَةٌ عَلَيْهَا» (تكوين ٢٨: ١٢). كان السلم رمزًا للرب يسوع، ابن الإنسان (انظر ١تيموثاوس ٢: ٥). وأخبر اللّه يعقوب في حلمه عن شخصه وما سيفعله لأجل يعقوب (تكوين ٢٨: ١٣). وفي سيادة اللّه، لم يذكر شيئًا عن أساليب يعقوب الماكرة والمخادعة.

«فَٱسْتَيْقَظَ يَعْقُوبُ مِنْ نَوْمِهِ وَقَالَ: حَقًّا إِنَّ ٱلرَّبَّ فِي هَذَا ٱلْمَكَانِ وَأَنَا لَمْ أَعْلَمْ! . وَخَافَ وَقَالَ: مَا أَرْهَبَ هَذَا ٱلْمَكَانَ! مَا هَذَا إِلَّا بَيْتُ ٱللّهِ، وَهَذَا بَابُ ٱلسَّمَاءِ» (تكوين ٢٨: ١٦-١٧). شعر يعقوب بوخزٍ في ضميره لأنه أدرك أن طرقه لم تكن مستقيمة في عيني الرب.

«يَعْقُوبُ ... أَخَذَ ٱلْحَجَرَ ٱلَّذِي وَضَعَهُ تَحْتَ رَأْسِهِ وَأَقَامَهُ عَمُودًا، وَصَبَّ زَيْتًا عَلَى رَأْسِهِ. وَدَعَا ٱسْمَ ذَلِكَ ٱلْمَكَانِ «بَيْتَ إِيلَ» (تكوين ٢٨: ١٦-١٧). الاسم بيت إيل معناه "بيت اللّه". ويرمز الزيت إلى الروح القدس. يُذَكِّرنا هذا بأننا جميعًا «أَهْلِ بَيْتِ ٱللّهِ، مَبْنِيِّينَ عَلَى أَسَاسِ ٱلرُّسُلِ وَٱلْأَنْبِيَاءِ، وَيَسُوعُ ٱلْمَسِيحُ نَفْسُهُ حَجَرُ ٱلزَّاوِيَةِ، ٱلَّذِي فِيهِ كُلُّ ٱلْبِنَاءِ مُرَكَّبًا مَعًا، يَنْمُو هَيْكَلاً مُقَدَّسًا فِي ٱلرَّبِّ. ٱلَّذِي فِيهِ أَنْتُمْ أَيْضًا مَبْنِيُّونَ مَعًا، مَسْكَنًا لِلهِ فِي ٱلرُّوحِ» (أفسس ٢: ١٩-٢٢).

## التفاوُض

سمع يعقوب ما سيصنعه اللّه لأجله، لكن بدلاً من أن يثق في كلامه كما هو، ابتدأ يتفاوض مع اللّه. فقال: «إِنْ كَانَ ٱللّهُ مَعِي، وَحَفِظَنِي فِي هَذَا ٱلطَّرِيقِ ٱلَّذِي أَنَا سَائِرٌ فِيهِ، وَأَعْطَانِي خُبْزًا لآكُلَ وَثِيَابًا لأَلْبَسَ، وَرَجَعْتُ بِسَلامٍ إِلَى بَيْتِ أَبِي، يَكُونُ ٱلرَّبُّ لِي إِلَهًا» (تكوين ٢٨: ٢٠-٢١). يا له من أمر مؤسف! فقد كان يعقوب مصرًّا على فعل ما يحلو له بطريقته. فإنه لن يقرّ باللّه إلهًا له إلا إذا فعل اللّه له أمورًا معيَّنة.

غادر يعقوب بيت إيل متجهًا إلى فدان أرام بضميرٍ متيقظ. لكن كانت لا تزال هناك أشياء في قلبه كان ينبغي أن يُحكَم عليها. وإن اللّه، العامل في حياة يعقوب، قاده بسيادته إلى راحيل، ابنة لابان. «وَقَبَّلَ يَعْقُوبُ رَاحِيلَ وَرَفَعَ صَوْتَهُ وَبَكَى» (تكوين ٢٩: ١١). ذهبت راحيل وأخبرت أباها بشأن يعقوب، و«لَابَانَ ... رَكَضَ لِلِقَائِهِ وَعَانَقَهُ وَقَبَّلَهُ وَأَتَى

بِهِ إِلَى بَيْتِهِ» (تكوين ٢٩: ١٣). التقى يعقوب المفاوِض بلابان المفاوِض. وكان كلٌّ منهما يبذل قصارى جهده ليتفوَّق على الآخر.

كان يعقوب بحاجة إلى أن يتعلَّم أن «ٱللهُ لا يُشْمَخُ عَلَيْهِ. فَإِنَّ ٱلَّذِي يَزْرَعُهُ ٱلإِنْسَانُ إِيَّاهُ يَحْصُدُ أَيْضًا. لأَنَّ مَنْ يَزْرَعُ لِجَسَدِهِ فَمِنَ ٱلْجَسَدِ يَحْصُدُ فَسَادًا، وَمَنْ يَزْرَعُ لِلرُّوحِ فَمِنَ ٱلرُّوحِ يَحْصُدُ حَيَاةً أَبَدِيَّةً» (غلاطية ٦: ٧-٨). فقد زرع يعقوب بذار الخداع، والآن حان الوقت ليحصد الثمار. فطوال سبع سنوات، ظن يعقوب أنه عقد صفقة جيدة، وأنه حصل على تعهُّد ثابت من لابان بأن يعطيه راحيل زوجةً. لكنه خُدِع إذ أُعطِي أختها الأكبر، ليئة، بدلاً منها. فقال يعقوب للابان: «مَا هَذَا ٱلَّذِي صَنَعْتَ بِي؟» (تكوين ٢٩: ٢٥). ولذلك، اضطر يعقوب أن يخدم لابان لمدة سبع سنوات أخرى في مقابل راحيل. وفي وقت لاحق، قال يعقوب لراحيل وليئة: «وَأَمَّا أَبُوكُمَا فَغَدَرَ بِي وَغَيَّرَ أُجْرَتِي عَشَرَ مَرَّاتٍ» (تكوين ٣١: ٧).

قبل ذلك بعشرين سنة، كان يعقوب قد جاء إلى بيت لابان وهو لا يملك شيئًا، هاربًا من غضب أخيه. أما الآن، فقد أصبح يعقوب ثريًّا، لكنه كان لا يزال معتمدًا على فهمه. لم يتكلم اللّه إلى يعقوب طوال هذه العشرين سنة، لكن بعد ذلك قال له اللّه: «أَنَا إِلَهُ بَيْتِ إِيلَ حَيْثُ مَسَحْتَ عَمُودًا، حَيْثُ نَذَرْتَ لِي نَذْرًا. ٱلآنَ قُمِ ٱخْرُجْ مِنْ هَذِهِ ٱلأَرْضِ وَٱرْجِعْ إِلَى أَرْضِ مِيلادِكَ ... وَخَدَعَ يَعْقُوبُ قَلْبَ لابَانَ ٱلأَرَامِيِّ إِذْ لَمْ يُخْبِرْهُ بِأَنَّهُ هَارِبٌ. فَهَرَبَ هُوَ وَكُلُّ مَا كَانَ لَهُ» (تكوين ٣١: ١٣، ٢٠-٢١). فقد هرب

يعقوب من وجه عيسو في خوفٍ، والآن أيضًا كان يهرب من وجه لابان في خوفٍ. فقد كان قد تفاوض مع اللهّ، إذا أراد أن يرجع بسلام إلى بيت أبيه (تكوين ٢٨: ٢١).

وعند خروج يعقوب من فدان أرام، لم يكن يتمتَّع بسلام ثابت في نفسه، إذ لم يكن يعيش في وعيٍ بمحبة اللهّ وبكلامه. «لاَ خَوْفَ فِي ٱلْمَحَبَّةِ، بَلِ ٱلْمَحَبَّةُ ٱلْكَامِلَةُ تَطْرَحُ ٱلْخَوْفَ إِلَى خَارِجٍ لأَنَّ ٱلْخَوْفَ لَهُ عَذَابٌ. وَأَمَّا مَنْ خَافَ فَلَمْ يَتَكَمَّلْ فِي ٱلْمَحَبَّةِ» (١يوحنا ٤: ١٨). كان اللهّ في أمانته الشديدة بصدد إرجاع يعقوب إلى بيت أبيه، لكن كانت هناك العديد من الدروس التي كان لا يزال على يعقوب أن يتعلّمها.

## الحماية

«وَأَمَّا يَعْقُوبُ فَمَضَى فِي طَرِيقِهِ وَلاَقَاهُ مَلاَئِكَةُ ٱللهِ. وَقَالَ يَعْقُوبُ إِذْ رَآهُمْ: «هَذَا جَيْشُ ٱللهِ!». فَدَعَا ٱسْمَ ذَلِكَ ٱلْمَكَانِ "مَحَنَايِمَ» (تكوين ٣٢: ١-٢). فإن اللهّ، في رأفته، كان يعتني بيعقوب ويحفظه. كذلك، نحن المؤمنون «بِقُوَّةِ ٱللهِ مَحْرُوسُونَ» (١بطرس ١: ٥). كان بإمكان اللهّ أن يرسل ملاكًا واحدًا فحسب لملاقاة يعقوب، لكنه أرسل "ملائكة". وهذه الملائكة هي «أَرْوَاحًا خَادِمَةً مُرْسَلَةً لِلْخِدْمَةِ لأَجْلِ ٱلْعَتِيدِينَ أَنْ يَرِثُوا ٱلْخَلاَصَ» (عبرانيين ١: ١٤). واسم المكان "محنايم" معناه "جيشان". إذ كان جيشان موجودين هناك (عائلة يعقوب وجيش الملائكة). فقد أراد اللهّ أن يرافق يعقوب ويشجعه وهو في طريقه إلى بيت إيل، لأنه كان

يَعلَم جيدًا ما يحتاجه يعقوب، حتى وإن لم يكن يعقوب يتمتَّع بمبادرات نعمته.

## التخطيط

أرسل يعقوب أمامه رسلاً إلى أخيه عيسو في محاولة منه أن يهدئ من الغضب الذي كان يتوقَّعه. كان ضمير يعقوب لا يزال يؤرقه. وبدا في ذلك الوقت أنه نسى وعد اللّه القائل له: «وَهَا أَنَا مَعَكَ، وَأَحْفَظُكَ حَيْثُمَا تَذْهَبُ، وَأَرُدُّكَ إِلَى هَذِهِ ٱلأَرْضِ، لأَنِّي لا أَتْرُكُكَ حَتَّى أَفْعَلَ مَا كَلَّمْتُكَ بِهِ» (تكوين ٢٨: ١٥). كذلك، كان يعقوب قد نسى أمر الملائكة الذين أرسلهم اللّه إليه. لم يصلِّ يعقوب في ذلك الوقت، لكنه عاد سريعًا إلى وضع الخطط. فقد دعا يعقوب عيسو "سيدي"، ووصف نفسه بأنه "عبدٌ" لعيسو (تكوين ٣٢: ٤). فقد كان خوف يعقوب من عيسو أكبر من خوفه من الرب الذي أمره بالعودة.

«فَرَجَعَ ٱلرُّسُلُ إِلَى يَعْقُوبَ قَائِلِينَ: «أَتَيْنَا إِلَى أَخِيكَ، إِلَى عِيسُو، وَهُوَ أَيْضًا قَادِمٌ لِلِقَائِكَ، وَأَرْبَعُ مِئَةِ رَجُلٍ مَعَهُ» (تكوين ٣٢: ٦). فخاف يعقوب جدًا، وضاق به الأمر، ووضع خطة على الفور، فقرَّر أن يقسم الذين معه إلى جيشين. لم يكن يعقوب آنذاك متمتعًا بما يمثِّله الاسم "محنايم"، الذي معناه "جيشان"، لكنه لا يعني جيشين من اختراع يعقوب. لم يفكر يعقوب في التوجُّه إلى اللّه أولًا بعد سماع ما أخبره به الرسل، لكنه وضع خططه، ثم صلَّى. ألا ينطبق هذا علينا في بعض الأحيان؟ فإننا نضع خططنا أولاً، ثم نطلب من اللّه أن يصدِّق

عليها. لم ينتظر يعقوب جوابًا، بل على الفور «أَخَذَ مِمَّا أَتَى بِيَدِهِ هَدِيَّةً لِعِيسُو أَخِيهِ» (تكوين ٣٢: ١٣). وقال: «أَسْتَعْطِفُ وَجْهَهُ بِٱلْهَدِيَّةِ ٱلسَّائِرَةِ أَمَامِي، وَبَعْدَ ذَلِكَ أَنْظُرُ وَجْهَهُ، عَسَى أَنْ يَرْفَعَ وَجْهِي» (تكوين ٣٢: ٢٠). ورغم عدم وجود أيّ أمل في نجاح هذه الخطة، قام يعقوب بتنفيذها.

## المصارعة

«فَبَقِيَ يَعْقُوبُ وَحْدَهُ، وَصَارَعَهُ إِنْسَانٌ حَتَّى طُلُوعِ ٱلْفَجْرِ» (تكوين ٣٢: ٢٤). "كانت هذه نقطة تحوّل في حياة هذا الرجل المميَّز. فإن وجودنا بمفردنا مع اللّه هو الوسيلة الوحيدة الصحيحة للوصول إلى معرفة صائبة بأنفسنا وبطرقنا. فبغض النظر عن رأينا عن أنفسنا، أو عن رأي البشر فينا، السؤال الأهم هو: 'ما رأي اللّه فينا؟' ولا يمكننا سماع إجابة هذا السؤال إلا عندما نوجد بمفردنا، بعيدًا عن العالم، وعن الذات، وعن الأفكار والمنطق والتخيلات والمشاعر الطبيعية، مع اللّه. وهكذا فقط، يمكننا الحصول على تقييم صحيح لأنفسنا" (ماكينتوش).

لم يذكر تكوين ٣٢ أن يعقوب صارع هذا الإنسان، بل أنه «صَارَعَهُ إِنْسَانٌ». كان على يعقوب أن يعرف كم كان عنيدًا وضعيفًا، كما اتضح من خلال أسلوب حياته. وهذا الإنسان «ضَرَبَ حُقَّ فَخْذِهِ، فَٱنْخَلَعَ حُقُّ فَخْذِ يَعْقُوبَ فِي مُصَارَعَتِهِ مَعَهُ. وَقَالَ: «أَطْلِقْنِي، لأَنَّهُ قَدْ طَلَعَ ٱلْفَجْرُ». فَقَالَ: «لاَ أُطْلِقُكَ إِنْ لَمْ تُبَارِكْنِي». (تكوين ٣٢: ٢٥-٢٦).

تشبَّث يعقوب بهذا الإنسان. فقد كانت قوته قد فارقته، ولذلك، استمد القوة والدعم من هذا الإنسان.

طلب يعقوب بركةً. فقبل ذلك بسنوات عديدة، أخذ يعقوب البركة من أخيه عيسو. ثم كشف هذا الإنسان عن هويته ليعقوب، قائلاً: «لا يُدْعَى ٱسْمُكَ فِي مَا بَعْدُ يَعْقُوبَ بَلْ إِسْرَائِيلَ، لأَنَّكَ جَاهَدْتَ مَعَ ٱللهِ وَٱلنَّاسِ وَقَدَرْتَ» (تكوين ٣٢: ٢٨). أصبح ليعقوب الآن اسم جديد، وهو «إِسْرَائِيلَ" الذي معناه "أمير الله". كذلك، صارت مشيته مختلفة، حيث صار "يَخْمَعُ عَلَى فَخْذِهِ» (تكوين ٣٢: ٣١). كان هذا يومًا جديدًا بالنسبة ليعقوب، «وَأَشْرَقَتْ لَهُ ٱلشَّمْسُ» (تكوين ٣٢: ٣١).

## اللقاء

«وَرَفَعَ يَعْقُوبُ عَيْنَيْهِ وَنَظَرَ وَإِذَا عِيسُو مُقْبِلٌ وَمَعَهُ أَرْبَعُ مِئَةِ رَجُلٍ، فَقَسَمَ ٱلأَوْلاَدَ عَلَى لَيْئَةَ وَعَلَى رَاحِيلَ وَعَلَى ٱلْجَارِيَتَيْنِ» (تكوين ٣٣: ١). لم يظن يعقوب أن عيسو ورجاله جاؤوا للترحيب به، بل ظن عكس ذلك. ومرة أخرى، نرى يعقوب يخطط كي ينتصر. فقد خاف بدلاً من أن يتكل على الله الذي كان قد أمره بالعودة. فلماذا لم يستودع لقاءه مع عيسو بين يدي الله؟

كان الله قد عمل في قلب عيسو، فكان اللقاء أفضل بكثير مما توقَّعه يعقوب. «فَرَكَضَ عِيسُو لِلِقَائِهِ وَعَانَقَهُ وَوَقَعَ عَلَى عُنُقِهِ وَقَبَّلَهُ، وَبَكَيَا» (تكوين ٣٣: ٤). فلم يكن أحدهما قد رأى الآخر منذ ما يزيد على

عشرين سنة. وكان ترحيب عيسو بيعقوب مشابهًا من بعض النواحي للترحيب الذي استقبل به لابان يعقوب (تكوين ٢٩: ١٣). إننا كثيرًا ما نشبه يعقوب، إذ نكون خائفين، ومضطربين، وقلقين، ومحمَّلين بالهموم، ومنزعجين بسبب أمور قد حسمها اللهّ بالفعل. ليتنا لا نهتم «بِشَيْءٍ، بَلْ فِي كُلِّ شَيْءٍ بِٱلصَّلَاةِ وَٱلدُّعَاءِ مَعَ ٱلشُّكْرِ، لِتُعْلَمْ [طلباتنا] لَدَى ٱللهِ. وَسَلَامُ ٱللهِ ٱلَّذِي يَفُوقُ كُلَّ عَقْلٍ، يَحْفَظُ [قلوبنا وأفكارنا] فِي ٱلْمَسِيحِ يَسُوعَ» (فيلبي ٤: ٦-٧).

## الاتجاه الآخر

ما زلنا نرى بقايا من يعقوب القديم بعد لقائه بعيسو. فقد أخبر يعقوب عيسو بأنه سيتبعه إلى سعير (تكوين ٣٣: ١٤). كان يعقوب يتبع الشخص الخطأ إلى المكان الخطأ، ولم يكن متكلًا على قيادة اللهّ له.

لكن، لم يذهب يعقوب إلى سعير، بل ذهب إلى سكوت: «وَأَمَّا يَعْقُوبُ فَٱرْتَحَلَ إِلَى سُكُّوتَ، وَبَنَى لِنَفْسِهِ بَيْتًا، وَصَنَعَ لِمَوَاشِيهِ مِظَالاً ... ثُمَّ أَتَى يَعْقُوبُ سَالِمًا إِلَى مَدِينَةِ شَكِيمَ ٱلَّتِي فِي أَرْضِ كَنْعَانَ، حِينَ جَاءَ مِنْ فَدَّانِ أَرَامَ. وَنَزَلَ أَمَامَ ٱلْمَدِينَةِ» (تكوين ٣٣: ١٧-١٨). كانت شكيم هي أول مدينة زارها أبرام في كنعان بعد خروجه من حاران (تكوين ١٢: ٦). فهناك، «ظَهَرَ ٱلرَّبُّ لِأَبْرَامَ وَقَالَ: «لِنَسْلِكَ أُعْطِي هَذِهِ ٱلْأَرْضَ». فَبَنَى هُنَاكَ مَذْبَحًا لِلرَّبِّ ٱلَّذِي ظَهَرَ لَهُ» (تكوين ١٢: ٧).

بنى يعقوب أيضًا مذبحًا هناك (تكوين ٣٣: ٢٠). لكنه بهذا المذبح لفت الانتباه إلى نفسه. فقد تبنَّى نظرة ضيقة أو محدودة عن اللّه. فصحيح أنه يُعتبَر امتيازًا أن نعرف أن اللّه هو إلهنا، لكن الأمر الأسمى هو أن نعرفه إلهًا لبيته، وأن ننظر إلى أنفسنا على أننا جزءٌ من ذلك البيت. فإن امتياز المؤمن هو أن يعرف المسيح رأسًا له، لكن الأمر الأسمى هو أن يعرفه رأسًا للجسد، أي الكنيسة، وأن نرى أنفسنا أعضاءً في ذلك الجسد.

كانت لا تزال هناك دروس كان على يعقوب أن يتعلَّمها عن اللّه وعن نفسه. فلم تكن شكيم هي المكان الذي أراد اللّه أن يسكن فيه يعقوب، بل بيت إيل. وفي تكوين ٣٤: ٣٠، استخدم يعقوب صيغة المتكلم المفرد ("أنا" و"إياي" و"عليَّ") ثماني مرات، وهو ما يُظهِر تمركزه حول ذاته.

«ثُمَّ قَالَ ٱللهُ لِيَعْقُوبَ: «قُمِ ٱصْعَدْ إِلَى بَيْتِ إِيلَ وَأَقِمْ هُنَاكَ، وَٱصْنَعْ هُنَاكَ مَذْبَحًا لِلهِ ٱلَّذِي ظَهَرَ لَكَ حِينَ هَرَبْتَ مِنْ وَجْهِ عِيسُو أَخِيكَ» (تكوين ٣٥: ١). أراد أهل شكيم أن يسكن يعقوب وأولاده معهم (تكوين ٣٤: ١٠)، لكن لم تكن هذه قط مشيئة اللّه. فقد ذهب يعقوب إلى أماكن مختلفة دون توجيه من اللّه. فقد قال إنه سيتبع عيسو إلى سعير، لكنه ذهب إلى سكوت، ثم ذهب إلى شكيم. والآن وجَّهه الرب إلى الذهاب إلى بيت إيل حيث كان عليه أن يصنع مذبحًا للرب. ومن

خلال هذه التوجيهات، أراد الله أن يوخز ضميره عن طريق تذكيره بالوقت الذي هرب فيه من أخيه.

## الاستعداد

وأخيرًا، أصبح يعقوب مستعدًّا لفعل ما أمره الله به، لكنه صار الآن على دراية ببعض الأمور فيه وفي بيته التي كانت تحتاج إلى تقويم قبل أن يتمكّنوا من الصعود إلى بيت إيل والسكنى فيها. فإن الآلهة الغريبة، والنجاسة، والثياب المدنّسة لم تكن تتناسب مع بيت إيل، بيت الله: «لا يَسْكُنُ وَسَطَ بَيْتِي عَامِلُ غِشٍّ. ٱلْمُتَكَلِّمُ بِٱلْكَذِبِ لا يَثْبُتُ أَمَامَ عَيْنَيَّ» (مزمور ١٠١: ٧). «مَنْ يَصْعَدُ إِلَى جَبَلِ ٱلرَّبِّ؟ وَمَنْ يَقُومُ فِي مَوْضِعِ قُدْسِهِ؟ اَلطَّاهِرُ ٱلْيَدَيْنِ، وَٱلنَّقِيُّ ٱلْقَلْبِ، ٱلَّذِي لَمْ يَحْمِلْ نَفْسَهُ إِلَى ٱلْبَاطِلِ، وَلا حَلَفَ كَذِبًا» (مزمور ٢٤: ٣-٤).

«فَقَالَ يَعْقُوبُ لِبَيْتِهِ وَلِكُلِّ مَنْ كَانَ مَعَهُ: «ٱعْزِلُوا ٱلآلِهَةَ ٱلْغَرِيبَةَ ٱلَّتِي بَيْنَكُمْ وَتَطَهَّرُوا وَأَبْدِلُوا ثِيَابَكُمْ. وَلْنَقُمْ وَنَصْعَدْ إِلَى بَيْتِ إِيلَ، فَأَصْنَعَ هُنَاكَ مَذْبَحًا لِلهِ ٱلَّذِي ٱسْتَجَابَ لِي فِي يَوْمِ ضِيقَتِي، وَكَانَ مَعِي فِي ٱلطَّرِيقِ ٱلَّذِي ذَهَبْتُ فِيهِ» (تكوين ٣٥: ٢-٣). فهل توجد أمور في حياتنا يجب أن نتخلّص منها؟ هل توجد أثقال أو خطايا؟ «"لِنَطْرَحْ كُلَّ ثِقْلٍ، وَٱلْخَطِيَّةَ ٱلْمُحِيطَةَ بِنَا بِسُهُولَةٍ» (عبرانيين ١٢: ١).

كان يعقوب وبيته بحاجة إلى تطهير. نشكر الرب على كلمته القائلة: «بِمَ يُزَكِّي ٱلشَّابُّ طَرِيقَهُ؟ بِحِفْظِهِ إِيَّاهُ حَسَبَ كَلامِكَ» (مزمور ١١٩:

٩). وفي الرسالة إلى أفسس نقرأ: «أَحَبَّ ٱلْمَسِيحُ أَيْضًا ٱلْكَنِيسَةَ وَأَسْلَمَ نَفْسَهُ لأَجْلِهَا، لِكَيْ يُقَدِّسَهَا، مُطَهِّرًا إِيَّاهَا بِغَسْلِ ٱلْمَاءِ بِٱلْكَلِمَةِ» (أفسس ٥: ٢٥-٢٦). كان على أهل بيت يعقوب أن يبدلوا ثيابهم. وكما نَعلَم، فإن الثياب هي ما يراه الناس، وهي ترمز إلى أسلوب حياة الشخص. وبالتالي، كان على هؤلاء أن يبدلوا أسلوب حياتهم. كذلك، علينا أن نلبس «أَحْشَاءَ رَأْفَاتٍ، وَلُطْفًا، وَتَوَاضُعًا، وَوَدَاعَةً، وَطُولَ أَنَاةٍ، مُحْتَمِلِينَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا، وَمُسَامِحِينَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا ... وَعَلَى جَمِيعِ هَذِهِ ٱلْبَسُوا ٱلْمَحَبَّةَ ٱلَّتِي هِيَ رِبَاطُ ٱلْكَمَالِ» (كولوسي ٣: ١٢-١٤).

وتلك الآلهة الغريبة التي كانت قد سُرِقت من لابان (تكوين ٣١: ١٩) أُعطِيت ليعقوب، و«طَمَرَهَا يَعْقُوبُ تَحْتَ ٱلْبُطْمَةِ ٱلَّتِي عِنْدَ شَكِيمَ» (تكوين ٣٥: ٤). والآن، أصبح يعقوب مستعدًّا للذهاب إلى بيت إيل. فقد خرجوا من شكيم دون أن يواجهوا صعوبات، وكانت رحلتهم إلى بيت إيل خاليةً من الصراعات. فقد كان يعقوب الآن يتحرَّك بحسب مشيئة اللّه.

## انعدام الخوف

لدى وصول يعقوب إلى بيت إيل، «بَنَى هُنَاكَ مَذْبَحًا، وَدَعَا ٱلْمَكَانَ «إِيلَ بَيْتِ إِيلَ» (تكوين ٣٥: ٧). والاسم "إِيلَ بَيْتِ إِيلَ" معناه "اللّه، إله بيته". ففي طريق يعقوب إلى فدان أرام، وفي الصباح التالي لحُلم السلم، أخذ يعقوب الحجر الذي استخدمه كوسادة، وصبَّ عليه زيتًا، ودعا إسم

ذلك المكان "بيت إيل". وقد عاد الآن يعقوب إلى المكان نفسه، لكنه هذه المرة كان قد أحرز تقدمًا، إذ لم يكن منشغلاً بالمكان نفسه، بل بالله، إله هذا المكان. ثم تراءى له الله وقال له: «ٱسْمُكَ يَعْقُوبُ. لا يُدْعَى ٱسْمُكَ فِيمَا بَعْدُ يَعْقُوبَ، بَلْ يَكُونُ ٱسْمُكَ إِسْرَائِيلَ. فَدَعَا ٱسْمَهُ «إِسْرَائِيلَ» (تكوين ٣٥: ١٠). إن الله يستطيع أن يغيِّر حياة الإنسان تغييرًا كاملاً. فهو كليُّ السيادة. وقد غيَّر آخرين أيضًا، مثل شاول الذي تغيَّر إلى بولس (أعمال الرسل ١٣: ٩) وأبرام الذي تغيَّر إلى إبراهيم (تكوين ١٧: ٥). الاسم "إسرائيل" معناه "أمير مع الله". أصبح الله الآن مستعدًّا أن يعلن عن ذاته لإسرائيل بصفته الله القدير، وأن يؤكِّد له البركات التي سيتمتع بها هو ونسله.

حظي يعقوب باختبار ممتع في بيت إيل. فلم يَعُد ذلك المكان مخيفًا، ولم يَعُد يعقوب خائفًا. وفي هذه المرة، ذهب يعقوب راغبًا في إكرام الله. «ثُمَّ رَحَلَ إِسْرَائِيلُ وَنَصَبَ خَيْمَتَهُ وَرَاءَ مَجْدَلَ عِدْرٍ» (تكوين ٣٥: ٢١). كان يعقوب الآن يتحرك بالفرح والحرية اللذين يمثِّلهما اسمه الجديد، إسرائيل. وقد كان ملازمًا لخيمته، يتحرك مثل غريب في هذا العالم. ليتنا نحن أيضًا نحيا ونتحرك كغرباء ونزلاء في هذا العالم، لمجد الرب.

نود أن نضيف هنا ملاحظة أخيرة. فلا يوجد ما يشير إلى أن يعقوب رأى أمه ثانيةً بعدما تركها هي وأباه ليتجه إلى فدان أرام. لكن، تمكن يعقوب من رؤية أبيه مرة أخرى، ومن الجيد أن نقرأ أنه هو وعيسو دفناه معًا (تكوين ٣٥: ٢٧-٢٩).

ج.ه. ب

# دُعي اسمه يعقوب

يأتي الاسم "يعقوب" من الكلمة العبرية Ya’aqov، المشتقة من الجذر עקב (qb) الذي معناه "يتبع، أو يأتي وراء". وهو يعني أيضًا "يستبدل، يتحايل، يهاجم، يتجاوز"؛ أو معناه "العقب" من الكلمة עָקֵב (aqeb). كذلك، قد يكون معناه "ليت اللّه يحفظ".

## ما الذي يمثِّله الاسم؟

إذا تأمَّلنا في ولادة يعقوب، سنفهم بسهولة سبب تسمية أبوَيه له باسم معناه "يتبع، أو يأتي وراء" أو معناه "العقب". ففي النهاية، جاء يعقوب إلى العالم بعد ولادة توأمه، وكانت يده قابضةً بعقبه (تكوين ٢٥: ٢٦). ومن ناحية أخرى، من المستبعَد أن يسمِّي أي أب ابنه باسم معناه "المستبدِل" أو "المتحايل" أو "المهاجم" أو "المتجاوِز"! ومع ذلك، ارتبطت هذه الأسماء بالاسم "يعقوب". وقد أثبت يعقوب أنها تنطبق عليه على مدار سنوات حياته. وبفضل اللّه، تحقَّق أيضًا المعنى "ليت اللّه يحفظ" في حياة يعقوب على نحو رائع.

قد نتساءل إذا كان بوسعنا أن نستمدَّ تعليمًا من معاني اسم يعقوب. يُذكِّرنا رومية ١٥: ٤ ببساطة بأن «كُلَّ مَا سَبَقَ فَكُتِبَ كُتِبَ لِأَجْلِ تَعْلِيمِنَا، حَتَّى بِٱلصَّبْرِ وَٱلتَّعْزِيَةِ بِمَا فِي ٱلْكُتُبِ يَكُونُ لَنَا رَجَاءٌ». إذن، يوجد ما يمكن أن نتعلّمه هنا!

كان يعقوب مخادعًا منذ البداية. فهل كان يَعلَم بالغريزة أن الله أعلن أن «كَبِيرٌ يُسْتَعْبَدُ لِصَغِيرٍ» (تكوين ٢٥: ٢٣)؟ لم يكن يعقوب يعلم ذلك على الأرجح، لكن قبضه على عقب أخيه أكّد بدء الصراع (انظر تكوين ٢٥: ٢٦). وليس عسيرًا أن نجد أمثلةً من حياته فيما كان يتقدّم في العمر تتوافق مع معاني الاسم "يعقوب".

يستبدل، "يحل محل": ففي شباب يعقوب، سعى إلى الحصول على بكورية أخيه، كي يكون الأول في أحقيته للميراث. وقد اشترى هذا الحق دون شفقة من أخيه الجائع في مقابل صحن من طبيخ العدس (تكوين ٢٥: ٢٩-٣٤).

يتحايل، "الذي يحتال ويحاول إيجاد وسيلة للتغلُّب على العقبات": لم يكن الحصول على بركة الابن البكر بطريقة غير مشروعة بالأمر السهل، حيث كان يعقوب شابًا أملس البشرة، ومعتادًا على الحياة المنزلية. أما أخوه الأكبر، فقد كان أشعر وتفوح منه رائحة الحقل والغابة. لذلك، وُضِعت خطة لخداع أبيه. فقد ارتدى يعقوب ثياب عيسو، وغطّى يديه وذراعيه وملاسة عنقه بجلود جدي المعزى، ثم أخذ يعقوب اللحم الشهي الذي طهته أمه إلى أبيه، وخدعه للحصول على بركة الابن البكر (تكوين ٢٧)

يهاجم، "الـذي يهـاجم بعنـف، أو الـذي يعتـدي": فمـن خـلال سـرقة يعقـوب للبركة عـن طريـق الخـداع، تعـدّى علـى أبيـه خادعًـا إياه عـن عمـدٍ. ومـع أن الشـريعة لم تكـن قـد أُعطِيـت بعـد، كـان ضـمير هـذا المحتـال موجـودًا، وكـان يعقـوب يعلـم أن خطــة أمــه خاطئــة. وفي حقيقـة الأمـر، سـأل يعقـوب أمـه عـن احتماليـة أن ينكشـف أمره، وكـان قلقًـا حيـال العواقـب المحتمَلة. وفضلاً عـن ذلـك، يقـول رومية ٢: ١٢، «لِأَنَّ كُـلَّ مَـنْ أَخْطَـأَ بِـدُونِ ٱلنَّامُوسِ فَبِـدُونِ ٱلنَّـامُوسِ يَهْلِـكُ». وهكـذا، فـإن اعتـداء يعقـوب علـى أبيـه كان أيضًـا اعتـداءً علـى الـرب، أي إنـه كـان خطيـة مخالفـة لأمر اللهّ، الـذي تجلّى لاحقًا في الوصية القائلة: «أَكْرِمْ أَبَاكَ وَأُمَّكَ» (خروج ٢٠: ١٢).

حـاول يعقـوب الاحتيـال علـى آخـرين أيضًـا. فقـد فعـل كـلَّ مـا بوسـعه ليحصـل علـى أكبر عـدد ممكـن مـن قطعـان حميـه (تكـوين ٣٠: ٣٧-٤٣)، غير عالم أن الـرب هـو فعليًّـا الـذي كـان يعطيـه هـذه الثـروة. والأمـر الأكثـر خطـورة مـن ذلـك أنـه عنـدما هـرب يعقـوب مـن أخيـه في البدايـة، متجهًـا إلى بيـت خالـه في حـاران، التقـى اللهّ بـه في بيـت إيـل. وهنـاك، وعـده الـرب بـأن يحفظـه ويـردّه إلى أرض الموعـد (تكـوين ٢٨: ١٣-١٥). فأجـاب يعقـوب الـرب آنـذاك بأنـه إذا تحقّـق هـذا الأمـر، فإنـه سـوف يعطـي اللهّ العُشـر مـن كـلِّ مـا لـه. لكـن للأسـف، لم يـذكر الكتـاب المقـدس شـيئًا عـن وفـاء يعقـوب بهـذا الوعـد. فهـل حقًـا سـلب يعقـوب اللهّ؟ إذا كـان الأمـر كذلك، فقد شكّل ذلك إعتداءً آخر على اللهّ الحي (ملاخي ٣: ٨)!

يتجـاوز، "الـذي يتجـاوز الحـدود": في أثنـاء رجـوع يعقـوب إلى أرض الموعـد، صارع إنسـانًا، وهـو المسـيح قبـل تجسُّـده. وإذ ابتـدأ يعقـوب يهزمـه، ضـرب

هذا الإنسان حُق فخذ يعقوب فانخلع. قد تجاوز يعقوب بجهوده الشخصية قدرته على الانتصار، لكن هذا الحدث قاده إلى الإيمان. وقد تقبَّل حقيقة أن اسمه بالحقيقة هو يعقوب، أي المتعقب والمخادع. ثم ابتدأ يُدعَى «إسرائيل»، الذي معناه الشخص الذي يغلب مع اللهّ! ما أروع أن يتحول الإنسان من شخص مخادع إلى شخص يجد نعمة في عيني اللهّ!

ليت اللهّ يحفظ: في كلِّ مخططات يعقوب التي كانت تبدو ناجحة، لم يكن عمله هو الذي جعله يزدهر؛ بل كان اللهّ الحي، الذي تغلَّب على إرادة يعقوب، هو الذي أعطاه النجاح بقوته. وهذا هو تحديدًا ما وعده اللهّ به في زيارته الأولى إلى بيت إيل: «وَهَا أَنَا مَعَكَ، وَأَحْفَظُكَ حَيْثُمَا تَذْهَبُ» (تكوين ٢٨: ١٥). كانت يد اللهّ الخفية الممدودة بالحماية والبركة على يعقوب حتى من قبل لقائه الخلاصي مع الإنسان في فَنِيئِيلَ. الاسم "فنيئيل"، وهو المكان الذي صارع فيه يعقوب اللهّ، معناه: «نَظَرْتُ ٱللهَ وَجْهًا لِوَجْهٍ، وَنُجِّيَتْ نَفْسِي». ثم بعد ذلك، حفظ الرب يعقوب أيضًا من تهديد عيسو السابق له بالقتل، ومن الأعداء المحتمَلين في أرض الموعد.

## تطبيق ذلك على الحاضر

كيف استطاع محتالٌ مثل يعقوب، في ضوء كل معاني اسمه التي سلك بمقتضاها، أن يجد نعمة في عيني اللهّ الحي؟ يقدِّم لنا اللهّ نفسه الإجابة عن ذلك عندما قال: «أَتَرَاءَفُ عَلَى مَنْ أَتَرَاءَفُ، وَأَرْحَمُ مَنْ أَرْحَمُ»

(خروج ٣٣: ١٩). فإن كلَّ واحد منا، نحن الذين آمنَّا بمخلّصنا، يعرف جيدًا أنه حتى من قبل أن ننال الخلاص، كان الرب يرسل ملائكة لخدمتنا نحن العتيدين أن «يَرِثُوا ٱلْخَلَاصَ» (عبرانيين ١: ١٤). ونحن كيف كنا؟ يصفنا رومية ٣: ٢٣ جميعًا بأننا كنا خطاة! ربما ظنَّ معظمنا أننا لسنا أشرارًا إلى هذا الحد، لكن إذا فحصنا أنفسنا بأمانة، سنجد أننا خطاة! نشكر الله لأن ١كورنثوس ٦: ١١ يقول: «لَكِنِ ٱغْتَسَلْتُمْ. بَلْ تَقَدَّسْتُمْ. بَلْ تَبَرَّرْتُمْ بِٱسْمِ ٱلرَّبِّ يَسُوعَ وَبِرُوحِ إِلَهِنَا». فإن الرب نظر إلينا، وخلّصنا بنعمته، ليس لأننا كنا رائعين، بل لأننا كنا خطاة. وبنعمته قال: «لَمْ آتِ لِأَدْعُوَ أَبْرَارًا بَلْ خُطَاةً إِلَى ٱلتَّوْبَةِ» (لوقا ٥: ٣٢). وحتى اليوم، بعدما نلنا الخلاص، قد نخادع ونحتال، ولذلك نحتاج إلى الاعتراف بخطايانا، مدركين مرة أخرى نعمته التي تمثّلت في مغفرة خطايانا وتطهيرنا من كل إثم (١يوحنا ١: ٩). فيا له من مخلّص!

عاش يعقوب حياة الشر لما يزيد على ٣٥ سنة، ولم يعرف الرب إلا بعد صراعه معه لبعض الوقت. فقد كسر الرب عناد يعقوب وتمرُّده، كي ينقذه من طرقه، ويردَّه إلى الله الحي.

فهل ما زلتَ عزيزي القارئ تعيش لنفسك؟ إلى متى ستظل تصارع الله؟ تشبَّث به كي تنال بركة الخلاص (انظر تكوين ٣٢: ٢٦ ). وهو سيغيِّر اسمك من خاطئ إلى قديس!

ألبرت ستيوارت

# يعقوب يتعلم التشبث

وردت أسماء إبراهيم وإسحاق ويعقوب في كلِّ أنحاء الكتاب المقدس، ولكلٍّ واحدٍ منهم علاقة حيوية بشعب إسرائيل، الذي هو شعب اللّه الأرضي.

يَعلَم قرّاء الكتاب المقدس أن ساراي امرأة أبرام كانت عاقرًا، وأن إنجابها طفلاً في شيخوختها كان معجزة صنعها اللّه. وعندما غيّر اللّه اسميهما من أبرام وساراي إلى إبراهيم وسارة (انظر تكوين ١٧: ٥، ١٥)، كان يُذكِّر بهذا إبراهيم بالنسل الذي وعده به في تكوين ١٢: ١-٧. إلا أن إبراهيم نظر إلى حالته الطبيعية هو وزوجته وراوده الشك: «فَسَقَطَ إِبْرَاهِيمُ عَلَى وَجْهِهِ وَضَحِكَ، وَقَالَ فِي قَلْبِهِ: هَلْ يُولَدُ لابْنِ مِئَةِ سَنَةٍ؟ وَهَلْ تَلِدُ سَارَةُ وَهِيَ بِنْتُ تِسْعِينَ سَنَةً؟» (تكوين ١٧: ١٧). وقطعًا، أوفى اللّه بوعده.

ثم في وقت لاحق، كان على إسحاق، نسل إبراهيم الموعود به، أن ينتظر عشرين سنة حتى ينجب ابنيه: «كَانَ إِسْحَاقُ ٱبْنَ أَرْبَعِينَ سَنَةً لَمَّا ٱتَّخَذَ لِنَفْسِهِ زَوْجَةً ... وَصَلَّى إِسْحَاقُ إِلَى ٱلرَّبِّ لأَجْلِ ٱمْرَأَتِهِ لأَنَّهَا كَانَتْ عَاقِرًا، فَٱسْتَجَابَ لَهُ ٱلرَّبُّ، فَحَبِلَتْ رِفْقَةُ ٱمْرَأَتُهُ» (تكوين ٢٥: ٢٠-٢١). ونقرأ أيضًا في هذا الأصحاح

نفسه: «وَكَانَ إِسْحَاقُ ٱبْنَ سِتِّينَ سَنَةً لَمَّا وَلَدَتْهُمَا» (تكوين ٢٥: ٢٦). وقد أنجبا توأمين، عيسو البكر، ثم يعقوب. وعند ولادة يعقوب، أمسك بعقب عيسو.

كان يعقوب وزوجاته هم الذين أسَّسوا بيت إسرائيل. وكما سنرى، كان يعقوب مخادعًا وماكرًا ومثابرًا. ومع أن الرب كان مع يعقوب، فإنه عاش جزءًا كبيرًا من حياته لنفسه. لكن في إحدى الليالي، صارع الرب يعقوب، فتعلَّم يعقوب كيف يتشبَّث بالرب. نحتاج نحن أيضًا أن نتعلَّم هذا الدرس نفسه. فإننا نستطيع أن نستخلص أو نتعلَّم الكثير من حياة يعقوب، لذا دعونا نلقي نظرة عن كثب!

## الميلاد، والبكورية، والبركة

كانت رفقة سعيدة وممتنة للغاية لأنها حبلت، لكن كانت هناك مشكلة: «وَتَزَاحَمَ ٱلْوَلَدَانِ فِي بَطْنِهَا، فَقَالَتْ: «إِنْ كَانَ هَكَذَا فَلِمَاذَا أَنَا؟» فَمَضَتْ لِتَسْأَلَ ٱلرَّبَّ» (تكوين ٢٥: ٢٢). من الرائع أن نسأل جميعنا الرب بشأن مشكلاتنا. وقد استجاب الرب لصلاتها، وأخبرها بأن في بطنها أمَّتين، وبأن الكبير سيُستعبَد للصغير (تكوين ٢٥: ٢٣). وقد كان قبض يعقوب على عقب عيسو جزءًا من هذا الصراع. ومنذ ذلك الحين، أصبح يعقوب يُدعى "المتعقِّب" أو "المخادع". وفي واقع الأمر، سيكون هو مَن سيُستعبَد له عيسو. فسيكون يعقوب هو النسل، وهو سيستكمل النسل الذي وعد به اللّه إبراهيم: إبراهيم وإسحاق ويعقوب. لكن من المثير للاهتمام أن شخصية يعقوب انكشفت عند ولادته.

كبر الغلامان وصارا شابين. وكان إسحاق يحب عيسو لأنه كان صيادًا، أما رفقة فكانت تحب يعقوب (تكوين ٢٥: ٢٧-٢٨). وإن أول فعل خداع مارسه يعقوب

تجلّى في مسألة البكورية. كانت البكورية شديدة الأهمية، لأنها كانت تتيح لرأس العائلة أن يمارس حقوقًا كهنوتية، وكانت تشير إلى كونه الوريث. وقبل ولادة التوأمين، أعلن الرب أن يعقوب سيكون هو الوريث؛ ومع ذلك، استخدم يعقوب الحيل والأساليب الجسدية للحصول على البكورية.

وقد جاءت اللحظة المناسبة ليعقوب عندما جاع عيسو: «فَقَالَ عِيسُو لِيَعْقُوبَ: «أَطْعِمْنِي مِنْ هَذَا ٱلأَحْمَرِ لأَنِّي قَدْ أَعْيَيْتُ». لِذَلِكَ دُعِيَ ٱسْمُهُ «أَدُومَ». فَقَالَ يَعْقُوبُ: «بِعْنِي ٱلْيَوْمَ بَكُورِيَّتَكَ». فَقَالَ عِيسُو: «هَا أَنَا مَاضٍ إِلَى ٱلْمَوْتِ، فَلِمَاذَا لِي بَكُورِيَّةٌ؟» (تكوين ٢٥: ٣٠-٣٢). هنا، كان هناك عاملان رئيسيان، الأول أن يعقوب استغل هذا الظرف لصالحه، والثاني أن عيسو «ٱحْتَقَرَ ... ٱلْبَكُورِيَّةَ» (تكوين ٢٥: ٣٤).

إننا سننال حتمًا ما أعدَّه اللهّ لنا؛ ولذلك، لم يكن يعقوب بحاجة إلى استخدام الطرق الجسدية حتى يضمن لنفسه ما أعدَّه اللهّ له بالفعل. ومع ذلك، كان أمرًا بشعًا وسيئًا بالقدر نفسه أن يبيع عيسو بكوريته مقابل حساء طبيخ. فهو لم يكن ماضيًا إلى الموت حقًّا. لذلك، على المؤمنين أن يتوخوا الحذر. فعلينا ألا نتمثل سواء بيعقوب أو بعيسو في وسط الظروف التي تواجهنا.

أما فعل الخداع الثاني الذي مارسه يعقوب، فكان يتعلق بالبركة. وضعت رفقة خطة، ووافق عليها يعقوب. ويروي لنا تكوين ٢٧ تفاصيل هذه المؤامرة. كان إسحاق قد شاخ وكلّت عيناه عن النظر. وكان قد طلب من عيسو أن يصطاد صيدًا ويطهو له طبقًا شهيًّا. فإذ لم يكن إسحاق يعرف متى سيموت، أراد أن يبارك ابنه البكر طالما كان لا يزال قادرًا على ذلك. إلا أن رفقة سمعت بهذا

الطلب الذي طلبه إسحاق ووضعت الخطة. لم يكن لدى يعقوب سوى تخوُّف واحد، وهو أن تفشل هذه الخطة. «فَقَالَ يَعْقُوبُ لِرِفْقَةَ أُمِّهِ: «هُوَذَا عِيسُو أَخِي رَجُلٌ أَشْعَرُ وَأَنَا رَجُلٌ أَمْلَسُ. رُبَّمَا يَجُسُّنِي أَبِي فَأَكُونُ فِي عَيْنَيْهِ كَمُتَهَاوِنٍ، وَأَجْلِبُ عَلَى نَفْسِي لَعْنَةً لا بَرَكَةً» (تكوين ٢٧: ١١-١٢).

لم يحاول يعقوب أن يقنع أمه بالتراجع عن خطتها، أو أن يبيِّن لها أن خداع أبيه أمر خاطئ. فحتى إذا كانت رفقة تحاول مساعدة الله، لم يكن الله بحاجة إلى مساعدتها؛ فهو كلي القدرة. نفَّذ يعقوب خطة أمه، وتحقَّقت الكلمات التي نطق بها: فقد صار متهاونًا (مخادعًا) في عيني أبيه. وفي الآية ١٩، كذب يعقوب وادَّعى أنه عيسو، وكذب مرة أخرى في الآية ٢٠، مقحمًا هذه المرة اسم الرب في الأمر. ثم كذب مرة أخرى أيضًا في الآية ٢٤، مصرحًا للمرة الثانية بأنه عيسو. وفي الآية ٢٧، قام بتقبيل أبيه.

على المؤمنين ألا يستخدموا الخداع. فإن بركاتنا الروحية مضمونةٌ لنا في المسيح: «مُبَارَكٌ ٱللهُ أَبُو رَبِّنَا يَسُوعَ ٱلْمَسِيحِ، ٱلَّذِي بَارَكَنَا بِكُلِّ بَرَكَةٍ رُوحِيَّةٍ فِي ٱلسَّمَاوِيَّاتِ فِي ٱلْمَسِيحِ» (أفسس ١: ٣). كذلك، تسدَّد لنا احتياجاتنا اليومية: «فَيَمْلأُ إِلَهِي كُلَّ ٱحْتِيَاجِكُمْ بِحَسَبِ غِنَاهُ فِي ٱلْمَجْدِ فِي ٱلْمَسِيحِ يَسُوعَ» (فيلبي ٤: ١٩). قطعًا، تختلف بركات إسرائيل عن البركات التي للكنيسة، لأن إسرائيل تتألف من شعب الله الأرضي، أما الكنيسة فهي مؤلَّفة من شعبه السماوي. لكن المبدأ واحدٌ ومهم: فعلى المؤمنين ألا يستخدموا الخداع، حتى وإن كان ذلك في محاولة منهم لتتميم مقاصد الله. ففي النهاية، اضطر يعقوب إلى الهروب من وجه عيسو الذي هدَّد بقتله. واستخدمت رفقة المزيد من الخداع لإرسال يعقوب إلى أخيها لابان (تكوين ٢٧: ٤١-٤٦).

إن اللّه أمينٌ. وقد كان على يعقوب أن يتعلّم كيف يتكل على الرب وليس على فطنته. وكانت حاران هي المكان المناسب لتعلُّم هذا الدرس. ومع أن لابان، خال يعقوب، لم يكن رجلاً بارًّا، لكنه كان الأداة التي استخدمها اللّه لتعليم يعقوب. «لَا تَضِلُّوا! ٱللهُ لا يُشْمَخُ عَلَيْهِ. فَإِنَّ ٱلَّذِي يَزْرَعُهُ ٱلإِنْسَانُ إِيَّاهُ يَحْصُدُ أَيْضًا» (غلاطية ٦: ٧).

في تكوين ٢٨، رأى يعقوب حلمًا رائعًا، فيه أعلن له الرب عن ذاته، مؤكدًا له الوعد الذي كان قد قطعه لإبراهيم، وواعدًا إياه بأن يكون معه أينما يذهب (تكوين ٢٨: ١٠-١٥). فأقام يعقوب عمودًا في هذا المكان، ودعا اسم المكان بيت إيل (تكوين ٢٨: ١٨-١٩). لكن بعد هذا الاختبار الرائع، رجع يعقوب إلى ما كان عليه، وحاول التفاوض مع اللّه: «وَنَذَرَ يَعْقُوبُ نَذْرًا قَائِلاً: إِنْ كَانَ ٱللهُ مَعِي، وَحَفِظَنِي فِي هَذَا ٱلطَّرِيقِ ٱلَّذِي أَنَا سَائِرٌ فِيهِ، وَأَعْطَانِي خُبْزًا لآكُلَ وَثِيَابًا لأَلْبَسَ، وَرَجَعْتُ بِسَلامٍ إِلَى بَيْتِ أَبِي، يَكُونُ ٱلرَّبُّ لِي إِلَهًا» (تكوين ٢٨: ٢٠-٢١). فلا تتفاوض مع اللّه!

كان لابان أقوى من يعقوب. ويُبيِّن صراع يعقوب مع خاله في تكوين ٣١: ٣٦-٤٢ ما مرَّ به يعقوب. فقد خدم لابان لمدة عشرين سنة، أربع عشرة سنة مقابل ابنتي لابان، وست سنوات مقابل غنمه. لم يَذكُر يعقوب هنا كيف أعطاه لابان ليئة بدلاً من راحيل. فإنه كان قد وافق عندما وصل حاران للمرة الأولى على أن يخدم سبع سنوات مقابل الزواج من راحيل، إلا أن لابان خدعه في ليلة زفافه. كذلك، غيَّر لابان أجرة يعقوب عشر مرات. وذكر يعقوب أيضًا أنه كان

يتحمل خسارة أيٍّ من الغنم الذي يُقتَل من حيوان مفترس. وكان لابان هو الذي وضع هذا الشرط. كما ذكر ظروف العمل القاسية التي تحمَّلها. وفي النهاية، قطع يعقوب ولابان معاهدة سلام، وذهب يعقوب وأهل بيته في طريقهم. كان يعقوب قد هرب من وجه عيسو إلى لابان منذ عشرين سنة، والآن كان يهرب من وجه لابان كي يعود إلى كنعان.

في كلِّ ذلك، احتاج يعقوب عشرين سنة كي يتعلَّم أن يتكل على الرب بالكامل. فماذا تعلمتَ أنت خلال مسيرتك مع الرب؟ هل تتعلم أمورًا جديدة ورائعة عنه؟ أم لا يزال عليك أن تتخلَّص من بعض الأمور الشريرة؟ فسواء كنا حديثي الإيمان أو مؤمنين متمرسين وذوي خبرة، يلزمنا جميعًا أن نقدِّر قيمة مسيرتنا مع الرب وأن نسعى إلى إرضائه.

## تعلُّم التشبُّث بالرب

كان على يعقوب أن يتعلَّم درسًا مهمًّا آخر، وقد حدث ذلك في أثناء مباراة مصارعة. وربما كان هذا واحدًا من أهم الدروس في حياة يعقوب.

وقعت بعض الأحداث قبل هذه المصارعة. ففي تكوين ٣٢، نقرأ أن يعقوب خاف من أخيه عيسو، وأرسل رسلاً أمامه ليطلبوا السلام (تكوين ٣٢: ٣-٦). وعندما رجع الرسل بأخبار تبدو سيئة، قسَّم يعقوب قومه إلى جيشين، ثم صلَّى بعد ذلك. إننا كثيرًا ما نفعل الشيء نفسه: فإننا نتصرَّف أولاً ثم نصلي. وبعدما صلَّى يعقوب، عاد إلى وضع الخطط، فأرسل هدايا كثيرة إلى عيسو. وبالمثل، نحن كثيرًا ما نتكل على أنفسنا. ثم أجاز يعقوب عائلته عبر النهر، وبقي وحده

أخيرًا (تكوين ٣٢: ٢١-٢٣). هذا هو ما نحتاج إليه في كثير من الأحيان، أن نكون وحدنا مع الرب.

يقال إن يعقوب صارع إنسانًا، لكن تقول الآية ٢٤:«فَبَقِيَ يَعْقُوبُ وَحْدَهُ، وَصَارَعَهُ إِنْسَانٌ حَتَّى طُلُوعِ ٱلْفَجْرِ». كانت هذه مباراة مصارعة طويلة. فقد كان يعقوب قويًّا. ثم في النهاية، خلع هذا الإنسان حق فخذ يعقوب، الأمر الذي أجبر يعقوب على التشبُّث به. وتشبَّث يعقوب بهذا الإنسان قائلاً له: «لا أُطْلِقُكَ إِنْ لَمْ تُبَارِكْنِي» (تكوين ٣٢: ٢٦).

نقرأ في هوشع ١٢ بعض الآيات الرائعة عن يعقوب: «فِي ٱلْبَطْنِ قَبَضَ بِعَقِبِ أَخِيهِ، وَبِقُوَّتِهِ جَاهَدَ مَعَ ٱللهِ. جَاهَدَ مَعَ ٱلْمَلَاكِ وَغَلَبَ. بَكَى وَٱسْتَرْحَمَهُ. وَجَدَهُ فِي بَيْتِ إِيلَ وَهُنَاكَ تَكَلَّمَ مَعَنَا» (هوشع ١٢: ٣-٤). كان الاختبار الذي اجتاز فيه يعقوب مع هذا الإنسان في تكوين ٣٢ هو الذي تعلّم فيه يعقوب أن يتمسّك بالرب. فقد توقف الصراع، وابتدأ التشبُّث، واستلزم الأمر حق فخذ مخلوعًا حتى يتشبَّث يعقوب بالرب.

يُقال إنه مع أن يعقوب صار يعرج بعد ذلك على فخذه، كان هذا أفضل وقتٍ مشى فيه في كلِّ حياته. صحيح أن يعقوب ظل خائفًا من لقاء عيسو، وأنه عانى المتاعب مع أولاده في الأرض، وواجه المزيد من التحديات الأخرى، لكنه في تلك الليلة تعلّم كيف يتشبث بالرب، ويتكئ على عصا، في اتكال على الله. ما الذي يتطلبه الأمر حتى نتشبث بالرب؟ علينا أن ندرك أننا معتمدون عليه بالكامل. قال الرب: «أَنَا ٱلْكَرْمَةُ وَأَنْتُمُ ٱلْأَغْصَانُ. ٱلَّذِي يَثْبُتُ فِيَّ وَأَنَا فِيهِ هَذَا يَأْتِي بِثَمَرٍ كَثِيرٍ، لِأَنَّكُمْ بِدُونِي لا تَقْدِرُونَ أَنْ تَفْعَلُوا شَيْئًا» (يوحنا ١٥: ٥).

## الخاتمة

حتى يومنا هذا، يتحدث كلٌّ من اليهود والمسيحيين عن إبراهيم وإسحاق ويعقوب. فإن كلَّ واحد من هؤلاء الرجال الثلاثة كان يعيش حياة الاتكال على اللّه. فإن حياتهم ملهِمة، وهي تُعتبر حلقة في تلك السلسلة التي تقود إلى الرب يسوع المسيح.

## ليتنا نتعلم من يعقوب كيف:

- لا نكون من القابضين على العقب أو المخادعين. فعلينا ألا نختال على الآخرين كي نحرز تقدمًا.
- لا نخدع الآخرين، بل علينا أن نكون صادقين مع جميع الناس ومع اللّه أيضًا.
- لا ندبر المكائد لاقتناء الأشياء، ولا نتفاوض مع اللّه. ينبغي ألا تكون علاقتنا مع الرب مشروطة: "إذا فعلت ... سأفعل ...".
- لا نخطط، ثم نصلي، ثم نعود إلى التخطيط، بل أن نصلّي ونتبع توجيه الرب.
- نتمسك بالرب، ونلتصق به. وهذا هو الأهم!
- لا نتركه!
- نستند عليه، فإنه يريد أن يباركنا.

في النهاية، نرى نتاج عمل الرب في حياة يعقوب: «بِٱلإِيمَانِ يَعْقُوبُ عِنْدَ مَوْتِهِ بَارَكَ كُلَّ وَاحِدٍ مِنِ ٱبْنَيْ يُوسُفَ، وَسَجَدَ عَلَى رَأْسِ عَصَاهُ» (عبرانيين ١١: ٢١).

ألفريد بوتيه

# يعقوب

هل تَعلَم أن ما يقرب من نصف سفر التكوين، الذي هو أول أسفار الكتاب المقدس، مرتبطٌ بيعقوب بشكل أو بآخر؟ فبعد طوفان نوح ببضعة قرون، أوقف اللهّ بناء برج بابل (تكوين ١١: ١-٩). ثم لاحقًا، دعا اللهّ أبرام إلى أن يترك تلك المنطقة، أي أور الكلدانيين، الواقعة في دولة العراق الحالية. كانت هذه المنطقة مركزًا هامًا للتجارة والثقافة، وكانت مكرّسة لعبادة الأوثان بدلاً من عبادة الإله الحقيقي وحده (انظر رومية ١: ١٨-٣٢). أطاع أبرام اللهّ، وترك أرضه وشعبه وبيت أبيه ليصير عابدًا للإله الحي (تكوين ١١: ٣١؛ ١٢: ١-٥). وبمرور الوقت، بنى هذا الرجل أربعة مذابح (تكوين ١٢: ٧-٨؛ ١٣: ١٨؛ ٢٢: ٩) لإكرام وعبادة ذلك الإله الذي دعاه ووعده بسبعة أمور (تكوين ١٢: ٢-٣)، منها أن يجعله أمة عظيمة، وأن يصير أبًا لكثيرٍ من الأمم.

وبعد سنوات طويلة من الانتظار، ظهر اللهّ لإبراهيم وسأله قائلًا: «هَلْ يَسْتَحِيلُ عَلَى ٱلرَّبِّ شَيْءٌ؟» (تكوين ١٨: ١٤). يمكن ترجمة كلمة "يَسْتَحِيلُ" أيضًا إلى "يَعظُم". لكن قبل ذلك، وبناءً على اقتراح سارة، اتخذ أبرام هاجر جارية

سارة سرية له، وأنجب منها ابنًا، دعاه إسماعيل (تكوين ١٦: ١٥). إلا أن خطة اللّه لأبرام، الذي دُعي فيما بعد إبراهيم، كان ينبغي أن تتحقق من خلال سارة. وقد تحدَّت هذه الخطة كل الصعاب، إذ كان إبراهيم قد صار أكبر عمرًا من أن ينجب ابنًا، وكانت سارة أيضًا غير قادرة على الإنجاب. فكلاهما كان قد تجاوز سن الإنجاب (رومية ٤: ١٦-٢٥). ومع ذلك، صنع اللّه معجزة عظيمة، حيث أنجبت سارة، وهي في التسعين من عمرها، بينما كان إبراهيم قد بلغ المئة من عمره، طفلهما الوحيد، الذي دعاه إبراهيم إسحاق (تكوين ٢١: ٣)، الذي معناه "الضحك".

بعد ذلك، امتُحِن إبراهيم، حيث أمره اللّه بأن يقدِّم ابنه ذبيحة (تكوين ٢٢: ١-١٩). فذهب إبراهيم ليفعل ذلك في طاعة وإيمان حقيقي، لأنه حسب أن «إِلَهُ ٱلْمَجْدِ» (أعمال الرسل ٧: ٢) سيوفي بوعوده ويدبِّر الأمور. فقد آمن إبراهيم بأنه حتى وإن اضطر إلى تقديم ابنه ذبيحة، فإن اللّه سيقيمه من الموت. ولذلك، أكرم اللّه إيمان إبراهيم (تكوين ٢٢: ١٦-١٨). فهل نضع ثقتنا في اللّه حتى في المواقف التي تبدو مستحيلة؟

يَذكُر الكتاب المقدس أن إسحاق كان في الأربعين من عمره حين تزوج من رفقة (تكوين ٢٥: ٢٠). وقد حفر أربعة آبار في مراحل مختلفة من حياته (تكوين ٢٦)، في إكرامٍ منه للّه. وبعد وقت من الانتظار والصلاة، حبلت رفقة، وأنجبت توأمين، هما عيسو ويعقوب (تكوين ٢٥: ١٩-٢٦). إن كل ولادة تُعتبَر في حد ذاتها معجزة، لكن هذه الولادة بالتحديد كانت نتاج العديد من المعجزات. وصلَّت رفقة عندما لاحظت أن التوأمين يتزاحمان في بطنها، فأجابها الرب بأن الطفل الذي سيولد أولًا، أي عيسو، سيُستعبَد للثاني، أي يعقوب، وهو

الموضـــوع الـذي جرى توضـيـحـه بمزيد من التفصيـل في الكتاب المقدس، والـذي سنناقشه لاحقًا.

كانت للتوأمين مهارات مختلفة: فقد كان عيسو صيادًا، وكان يعقوب يطهو. وإن يعقوب، الـذي معنى اسمه "المتعقب" أو "المخادع"، خدع أباه وأخاه. أراد عيسو أن ينتقم لنفسه، لكن أمهما رتَّبت لإرسال يعقوب بعيدًا إلى أخيها لابان. وفي أثناء رحلة يعقوب إلى هناك، التقى بملائكة اللهّ في بيت إيل (تكوين ٢٨: ١٠-٢٢)، وهو المكان الذي بنى فيه يعقوب مذبحًا في وقت لاحق (تكوين ٣٥). لكن آنذاك، أقام يعقوب عمودًا (تكوين ٢٨: ١٨) لتخليد هذا الحدث الخاص. وكان هذا أول عمود من أربعة أعمدة أقامها يعقوب (تكوين ٣١: ٤٥؛ ٣٥: ١٤، ٢٠). وقد سلطت هذه الأعمدة الضوء على أحداث مهمة في حياة يعقوب شكَّلت جزءًا من تأديب اللهّ وتعليمه. إننا نميل إلى رؤية تأديب اللهّ على أنه أمر سلبي، لكن علينا أن ندرك أن اللهّ يهدف إلى منفعتنا ونمونا الروحي، حيث إنه يستخدم التجارب والتحديات لبنياننا.

## اختبارات يعقوب

وصل يعقوب إلى بيت لابان ومكث هناك. فخدع لابان يعقوب، وكانت نتيجة ذلك هي زواج يعقوب من ابنتي لابان، ليئة وراحيل. وأصبحت جاريتاهما أيضًا سريتين ليعقوب. وبارك اللهّ هؤلاء النساء الأربعة، معطيًا يعقوب أولادًا (تكوين ٢٩-٣٠). وظل اللهّ يؤدب يعقوب لسنوات عديدة (تكوين ٣١-٣٢). ثم في النهاية، تصالح يعقوب مع أخيه عيسو (تكوين ٣٣).

رغم بعض التطورات المؤسفة التي وقعت بين أولاد يعقوب (تكوين ٣٤)، أثمر عمل اللهّ المستمر في حياة يعقوب عن صيرورته قائدًا روحيًا، حيث قاد عائلته

إلى عبادة اللهّ في بيت إيل (تكوين ٣٥). فقد حوَّل اللهّ يعقوب، الذي معنى اسمه أيضًا "الشخص الذي يقبض على العقب"، من شخص مخادع إلى عابد حقيقي.

بعد تعلُّم دروس صعبة، والخوض في تجارب شديدة، أصبح يعقوب مستعدًّا للعودة إلى مكان العبادة الذي سبق أن أراه اللهّ إياه. ولم يعلن يعقوب عن رغبته في العودة إلى أرضه إلا بعدما ولدت راحيل ابنهما يوسف (تكوين ٣٠: ٢٥-٢٦). وعندما كان في طريقه أخيرًا إلى هناك، روى يعقوب لامرأتيه كيف ظهر اللهّ له، وقال: «أَنَا إِلَهُ بَيْتِ إِيلَ حَيْثُ مَسَحْتَ عَمُودًا، حَيْثُ نَذَرْتَ لِي نَذْرًا» (تكوين ٣١: ١٣). فقد ذكَّر اللهّ يعقوب بالنذر الذي نذره يعقوب منذ نحو عشرين سنة (انظر تكوين ٢٨: ٢٠-٢٢). وقال له الرب: «ٱلآنَ قُمِ ٱخْرُجْ مِنْ هَذِهِ ٱلأَرْضِ وَٱرْجِعْ إِلَى أَرْضِ مِيلادِكَ» (تكوين ٣١: ١٣). علاوة على ذلك، نبَّه اللهّ لابان أن يتوخَّى الحذر في تعامله مع يعقوب. وفي اليوم التالي، قطع يعقوب ولابان عهدًا معًا، وكان اللهّ شاهدًا عليهما (تكوين ٣١: ٤٤-٥٥). وعندما رجع يعقوب إلى الأرض التي وعد اللهّ بها إبراهيم ونسله، التقى بملائكة اللهّ (تكوين ٣٢: ١-٢)، ثم استعد للقاء أخيه عيسو. كذلك، التقى يعقوب بالرب بطريقة جديدة، عندما صارعه ملاك الرب (تكوين ٣٢: ٢٤-٣٢). علّمت هذه الأحداث يعقوب دروسًا مهمة. وقد كرَّر اللهّ التعبيرات السبعة نفسها المذكورة في تكوين ٢٨، لكن هذه المرة لم يكن ذلك في حلم، بل تكلَّم اللهّ مع يعقوب بصورة مباشرة، وبيَّن له أنه لم ينس شيئًا من النذر الأول الذي نذره يعقوب. وهذا درس عظيم لنا. ففي بعض الأحيان، نقطع لله وعودًا، في تسرع أو استخفاف، لكن اللهّ لا ينسى شيئًا!

إن اللّه هو المعلّم العظيم الذي يريد أن ننمو روحيًّا حتى نتمكّن من تقديم الذبائح له. وتوحي كلمة "ذبائح" بأنها لا تقدَّم بسهولة، لأنها تُذكِّرنا بما فعله الرب يسوع في هذا العالم. فيجب أن تكون حياتنا وأجسادنا ذبيحة حية (رومية ١٢: ١). تقدَّم في تجاوب منا مع ذبيحة يسوع الفريدة وعمله على الصليب. فهناك، وفي نهاية الساعات الثلاث من الظلمة، قال يسوع Tetelestai التي معناها "دُفع الثمن بالكامل، قد أُكمِل" (انظر يوحنا ١٩: ٣٠). كانت لدى اللّه مقاصد صالحة في تأديبه ليعقوب، تمامًا كما هو الحال بالنسبة لنا (انظر عبرانيين ١٢: ٧-١٧).

حين تكلّم الرب إلى يعقوب في تكوين ٣٥، قال له: «قُمِ ٱصْعَدْ إِلَى بَيْتِ إِيلَ وَأَقِمْ هُنَاكَ، وَٱصْنَعْ هُنَاكَ مَذْبَحًا لِلهِ ٱلَّذِي ظَهَرَ لَكَ حِينَ هَرَبْتَ مِنْ وَجْهِ عِيسُو أَخِيكَ» (تكوين ٣٥: ١). تحتوي التعليمات السبعة في هذه الآية على دروس عميقة للمؤمنين، يمكن أن تقودهم إلى أن يكونوا عابدين حقيقيين، يسجدون للّه «بِٱلرُّوحِ وَٱلْحَقِّ» (يوحنا ٤: ٢٣-٢٤).

١. «قُمِ»: الفعل يعني القيام لعمل شيء ما. وهذه الصيغة من الفعل تحديدًا وردت سبع مرات في النص العبري لسفر التكوين (تكوين ١٣: ١٧؛ ١٩: ١٥؛ ٢٧: ١٩؛ ٢٨: ٢؛ ٣١: ١٣؛ ٣٥: ١؛ ٤٤: ٤). ورد هذا الفعل للمرة الأولى، لكن في صيغة مختلفة عن هذه، عندما قام قايين على أخيه هابيل (تكوين ٤: ٨). لكن في مدرسة اللّه، يشير هذا الفعل إلى التصرُّف الذي يتم بحسب تعليمات اللّه.

٢. «ٱصْعَدْ»: وهذا هو الاتجاه الصحيح في عبادة اللّه (انظر أعمال الرسل ٣: ١).

٣. «إِلَى بَيْتِ إِيلَ»: أي "بيت اللّه". ويمكن تطبيق ذلك علينا اليوم من جهة العثور على مكان العبادة المتوافق مع فكر اللّه (متى ١٨: ٢٠).

٤. «وَأَقِمْ هُنَاكَ»: معناه أن يقيم في بيت إيل، وهو ما يشير إلى إرشاد اللّه ليعقوب في الأمور المتعلقة بأسلوب حياته، وهو ما وضعه يعقوب قيد التنفيذ في تكوين ٣٥.

٥. «وَاصْنَعْ ... مَذْبَحًا»: استُخدِمت هنا الكلمة العبرية التي تعني حرفيًّا "مكان تقديم الذبيحة". يقود هذا تفكيرنا إلى ذبيحة المسيح، التي كانت لازمة لفدائنا.

٦. «هُنَاكَ»: تؤكد الكلمة على الصلة الوثيقة بين المذبح ومسكن يعقوب، وهو بالنسبة لنا بمثابة تدريب على ربط مسكننا المؤقت على الأرض بمكان العبادة الحقيقية.

٧. «لِلهِ ٱلَّذِي ظَهَرَ لَكَ حِينَ هَرَبْتَ مِنْ وَجْهِ عِيسُو أَخِيكَ»: وهذا يشير إلى قصة يعقوب الشخصية وتعاملات اللّه معه.

بحلول الوقت الذي أمر اللّه فيه يعقوب بأن يقوم ويصعد إلى بيت إيل، كان يعقوب قد صار مستعدًّا لتقدير اهتمامات اللّه بدلاً من سعيه إلى تحقيق مصالحه الشخصية. لهذا السبب، دعا يعقوب ذلك المكان «إِيلَ بَيْتِ إِيلَ» (تكوين ٣٥: ٧)، الذي معناه "إله بيت اللّه". ونتعلم من خلال كتابات الرسل بولس وبطرس ويوحنا ما تعنيه هذه الأمور بالنسبة لنا، وكيفية تطبيقها على حياتنا.

## تطور جديد

في تكوين ٣٧، رجع يعقوب إلى الأرض التي تغرَّب فيها أبوه. وصار التركيز الآن منصبًّا على يوسف ابن يعقوب، الذي كانت محبته لإخوته الذين لأبغضوه رمزًا رائعًا لربِّنا يسوع المسيح. يصف هذا الأصحاح أيضًا محبة يوسف لأبيه

وطاعته له، وهو ما يشير مرة أخرى إلى الرب يسوع، الذي كان هو الشخص الوحيد الذي عاش كاملاً، حتى وهو محاطٌ بكل أنواع المقاومة والشر. وترمز التجارب التي مرَّ بها يوسف، والمذكورة في تكوين ٣٩-٤٠، إلى الكيفية التي تعامل بها الأمميُّون مع الرب يسوع؛ كما يرمز تكوين ٤١ إلى أمجاد المسيح الفائقة الحالية عن يمين الله (اقرأ فيلبي ٢: ٨-١١). فإن شعب اللّه الأرضي كان ولا يزال لا يقرُّ به مخلصًا للعالم وكاشفًا للأسرار (لاحظ الاسم الذي أطلقه فرعون على يوسف في تكوين ٤١: ٤٥).

دفع اللّه إلى المسيح كلَّ سلطان في السماء وعلى الأرض (متى ٢٨: ١٨)، وأعطاه عروسًا، هي الكنيسة، تمامًا مثلما فعل فرعون مع يوسف. نحتاج هنا إلى إدراك الفرق بين فرعون سفر التكوين، الذي يرمز إلى قوة اللّه الفائقة، وبين فرعون سفر الخروج، الذي يشير إلى قوة الشيطان الشريرة. وإن سنوات الشبع السبع، بالإضافة إلى أسنات زوجة يوسف والابنين اللذين ولدا لهما (تكوين ٤١: ٤٧-٥٢)، ترمز جميعها إلى عصرنا الحالي الذي فيه مجّد اللّه الرب يسوع عن يمينه، وباركنا بكلِّ بركة روحية في السماويات في المسيح يسوع. أما سنوات الجوع السبع التي أعقبت ذلك، فإنها تشير إلى فترة الضيقة، التي بعدها ستخضع أمة إسرائيل والعالم بأكمله للرب يسوع في الدهر الآتي؛ «ٱذْهَبُوا إِلَى يُوسُفَ» (تكوين ٤١: ٥٥).

إنه لأمر مذهل أن نرى كيف يجمع روح اللّه بعض العناصر المهمة معًا، وهو ما نراه حرفيًّا في عائلة يعقوب (تكوين ٤٢-٥٠)، وروحيًا في العديد من الدروس التي نتعلّمها اليوم. فإننا نرى كيف أصلح اللّه العلاقة بين يوسف وإخوته، وبين إخوته وأبيه. فقد تعرَّف يوسف على إخوته حين جاءوا ليطلبوا القمح، لكنهم

لم يتعرفوا عليه. وقد قادته الحكمة التي أُعطيت له من اللّه إلى إخفاء هويته عنهم والتحفُّظ عليهم. أدرك إخوة يوسف أفعالهم الخاطئة التي فعلوها في الماضي (تكوين ٤٢: ٢١)، أما يوسف فبكى سرًّا (تكوين ٤٢: ٢٤)، إذ تضايق في ضيقهم (إشعياء ٦٣: ٩).

كذلك، أعطى الرب يوسف حكمة كي يتمكَّن من إيجاد وسيلة يُعيد بها إخوته إليه، ومعهم بنيامين وأبوهم يعقوب. ففي الطريق إلى أرضهم، فتح إخوة يوسف، باستثناء شمعون الذي كان محتجزًا في مصر، أوعيتهم الممتلئة بالقمح فوجدوا فضتهم التي دفعوها في عدالهم (تكوين ٤٢: ٢٥-٢٨). فخافوا وتساءلوا: «مَا هَذَا ٱلَّذِي صَنَعَهُ ٱللهُ بِنَا؟» (تكوين ٤٢: ٢٨). أخبر الإخوة أباهم بكل شيء، فلم يرضَ أبوهم أن يسمح بذهاب ابنه الأصغر (بنيامين) معهم إلى مصر (تكوين ٤٢: ٢٩-٣٨).

استمرَّت المجاعة، "وَكَانَ ٱلْجُوعُ شَدِيدًا فِي ٱلْأَرْضِ". فنفد الزاد الذي كان لدى عائلة يوسف (تكوين ٤٣: ١). فأخذ يهوذا زمام المبادرة، ووعد أباه بأن يكون مسؤولاً عن إرجاع بنيامين إليه. فأجابه يعقوب: «وَأَنَا إِذَا عَدِمْتُ ٱلْأَوْلَادَ عَدِمْتُهُمْ» (تكوين ٤٣: ١٤). كانت هذه نقطة تحوُّل يجب أن نتعلَّم منها جميعًا: فإننا ينبغي أن نسلم كلَّ شيء للّه، أي كل ما نحن عليه وكل ما نملكه.

ذهب الإخوة إلى مصر، ومعهم أخوهم الأصغر بنيامين. وهناك، جيء بهم إلى بيت يوسف ليأكلوا معه، مع أن يوسف لم يكن قد كشف لهم هويته بعد. وتعجَّبوا إذ أجلسوهم على المائدة بحسب ترتيب ميلادهم (تكوين ٤٣: ٣٣). ثم أُرسِلوا إلى أرضهم مرة أخرى وعدالهم ممتلئة بالقمح. لكن يوسف أمر الذي على بيته بأن يذهب وراءهم، ويتهمهم بسرقة طاس سيده، الذي كان يتفاءل

به. أنكر الإخوة ذلك بالطبع، إلا أن طاس يوسف وُجِدت في عدل بنيامين! فرجع الإخوة إلى مصر وهم متحيِّرون.

تضرَّع يهوذا نيابة عن أخيه الأصغر، مدافعًا عنهم جميعًا وعن أبيهم (تكوين ٤٤: ١٤-٣٤). وعندئذ، يوسف، الذي كان إخوته يظنون أنه مات، قام بتعريف إخوته بنفسه، فكانت دهشتهم عظيمة (تكوين ٤٥: ١-٣)! فهدَّأ يوسف من روعهم، ثم طلب منهم أن ينتقلوا إلى مصر مع أبيهم، لأن المجاعة ستستمر. تفاجأ يعقوب كثيرًا حين أبصر بنيه راجعين إليه بعجلات، وطعام، ورسالة من يوسف إليه (تكوين ٤٥: ٢١-٢٨). ثم أظهر اللّه ليعقوب أنه يريده أن يذهب إلى مصر مع كلِّ بيته وكلِّ ما يملك (تكوين ٤٦: ١-٧). كم كان ذلك اللقاء رائعًا، عندما رأى يعقوب ابنه المفقود مرة أخرى بعد وصوله إلى مصر (تكوين ٤٦: ٢٩)! تُظهر هذه القصة أن حكمة اللّه ومحبته تنتصران دائمًا رغم إخفاقاتنا وخطايانا.

ثم قدَّم يوسف أباه إلى فرعون (تكوين ٤٧: ٧)، وبارك يعقوب فرعون مرتين (تكوين ٤٧: ٧، ١٠). فإن «ٱلأَصْغَرُ يُبَارَكُ مِنَ ٱلأَكْبَرِ (عبرانيين ٧: ٧)، وهو ما يعني، من منظور اللّه على الأقل، أن يعقوب، راعي الغنم الإسرائيلي المتواضع الذي يبلغ عمره ١٣٠ سنة (تكوين ٤٧: ٩)، كان أكبر من أقوى رجل على وجه الأرض في ذلك الوقت! علاوة على ذلك، استطاع يوسف، بصفته مدبِّرًا عظيمًا، أن يعول إخوته وعائلاتهم (تكوين ٤٧: ١١-١٢)، فضلاً عن شعب مصر أيضًا (تكوين ٤٧: ١٣-١٧)، وأن يهتم بمصالح فرعون (تكوين ٤٧: ١٤) وبمصلحة هذه الأمة بأكملها (تكوين ٤٧: ١٨-٢٦). والآن، أصبح شعب يوسف يُدعى "إسرائيل" (تكوين ٤٧: ٢٧).

عاش يعقوب مع ابنه سبعة عشرة سنة أخرى (تكوين ٤٧: ٢٨). وهي الفترة نفسها التي قضاها يعقوب مع يوسف قبل أن يبيعه إخوته عبدًا (تكوين ٣٧: ٢). بالإضافة إلى ما تناولناه لتوِّنا. يشير تكوين ٤٧ إلى أحوالٍ ستسود العالم بأسره، كما يشير تكوين ٤٧: ٢٧. عندما يكون العالم بأكمله خاضعًا للّه ولابنه، الذي هو أعظم من يوسف.

يصف تكوين ٤٨ مباركة يعقوب لابني يوسف، أفرايم ومنسى. وفي هذه المناسبة الخاصة، أظهر يعقوب الحكمة التي تعلّمها في مدرسة اللّه. فبقيادة اللّه، أعطى يعقوب بركة الابن البكر للابن الأصغر وليس الأكبر، ووضع نفسه وبيته أمام اللّه الذي سار أمامه أبواه إبراهيم وإسحاق. فقد كان الرب، ولا يزال، يرعى يعقوب (تكوين ٤٨: ١٥). وهذا الراعي كان هو "ٱلْمَلَاكُ" الذي خلّص يعقوب "مِنْ كُلِّ شَرٍّ" (تكوين ٤٨: ١٦). والآن، طلب يعقوب من إلهه أن يبارك ابني يوسف، اللذين تبنّاهما. وصلّى يعقوب قائلًا: «وَلْيُدْعَ عَلَيْهِمَا ٱسْمِي وَٱسْمُ أَبَوَيَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ". طالباً من اللّه أن "يَكْثُرَا كَثِيرًا فِي ٱلْأَرْضِ» (تكوين ٤٨: ١٦). لم يدرك يوسف أن هذا العمل الاستثنائي المتمثل في مباركة الابن الأصغر كان هو نتاج ما تعلّمه يعقوب في مدرسة اللّه. والرب يسوع، الذي أتى بعد ٤٠٠٠ سنة من تاريخ البشرية، هو بكر كلِّ خليقة، وسيكون له دائمًا المقام الأعلى إلى الأبد. مجدًا للّه!

ثمة درس عظيم آخر نتعلّمه من قصة يعقوب، وهو: «لا تَضِلُّوا! ٱللهُ لا يُشْمَخُ عَلَيْهِ. فَإِنَّ ٱلَّذِي يَزْرَعُهُ ٱلإِنْسَانُ إِيَّاهُ يَحْصُدُ أَيْضًا» (غلاطية ٦: ٧). فإن الإنسان مسؤول أمام اللّه، الذي له دائمًا كل السلطان وله الكلمة الأخيرة. فقد اختبر يعقوب تأديب اللّه، وتعلّم أن يقبل طرق اللّه، كما اتضح في تكوين ٤٩. فإن

تعاملات اللّٰه مع يعقوب قادته إلى فهم روحي عميق. وإن التفاصيل التي تخص أبناء يعقوب ومستقبلهم نُسِجت بمهارة ضمن تفاصيل تقييم يعقوب لتاريخهم، وقدراتهم، وإخفاقاتهم، ومستقبلهم، بما في ذلك المكان الذي سيشغلونه في الدهر الآتي. فبوجه عام، يصف تكوين ٤٩ طرق اللّٰه مع إسرائيل في الماضي، والحاضر والمستقبل، فيما يعرض تفاصيل عن النمو الروحي لأبناء يعقوب. وفي الوقت ذاته، يشمل هذا الأصحاح تطبيقات عملية على حياتنا كمؤمنين، والعديد من الدروس النافعة للكنيسة. والأهم من ذلك كله أن روح اللّٰه قاد يعقوب، على الرغم من عدم معرفته بذلك آنذاك، إلى إدراج سمات رائعة للرب يسوع، الذي هو "شِيلُونُ" المشار إليه في تكوين ٤٩: ١٠ و"الخلاص" المشار إليه في تكوين ٤٩: ١٨. وهذه الفكرة الأخيرة تربط بوضوح الخلاص باسمه يسوع، أو يشوع، أي المخلِّص.

يمثِّل رأوبين وشمعون ولاوي (تكوين ٤٩: ٣-٧) الإخفاق البشري، مع أن اللّٰه ساد على هذا الإخفاق كي يجلب البركة. ويهوذا، رغم إخفاقاته (تكوين ٣٨)، صار الشخص الذي سيأتي المسيا من نسله (اقرأ متى ١؛ ٢: ٣-٦؛ لوقا ٣: ٢١-٣٨). وقد وصف يعقوب بعض السمات الرائعة لُملك الرب الآتي (تكوين ٤٩: ٨-١٢). ويُظهر لنا زبولون ويساكر بعض التفاصيل عن تاريخ سكنى إسرائيل بين الأمم (تكوين ٤٩: ١٣-١٥). وفي دان، نرى مرحلة من مستقبل إسرائيل، عندما يعودون إلى أرضهم، ويصيرون تحت سيطرة الشيطان. ولهذا السبب، هتف يعقوب قائلاً: «لِخَلاَصِكَ ٱنْتَظَرْتُ يَا رَبُّ» (تكوين ٤٩: ١٨). وقد رُبِطت بعض عناصر تاريخ إسرائيل بتطورات ستحدث في فترات أخرى، كما نقرأ في حالة جاد (تكوين ٤٩: ١٩)، وأشير (تكوين ٤٩: ٢٠)، ونفتالي (تكوين ٤٩: ٢١).

وفيما يتعلق بيوسف (تكوين ٤٩: ٢٢-٢٦)، قاد روح اللّه يعقوب إلى ذكر تفاصيل تسلِّط الضوء على أمانة يوسف ومهاراته الشخصية، بينما توضح أيضًا جوانب رائعة من المسيا، الذي هو "يوسف الحقيقي"، كما نقول أحيانًا. وشدَّد يعقوب على دور اللّه في حياة يوسف، متحدثًا عن «يَدَيْ عَزِيزِ يَعْقُوبَ»، الذي منه "«الرَّاعِي صَخْرِ إِسْرَائِيلَ» (تكوين ٤٩: ٢٤). وقال أيضًا إن «إِلَهِ أَبِيكَ" سيكون معينًا ليوسف، وإن "ٱلْقَادِرِ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ» سيباركه (تكوين ٤٩: ٢٥). هذه البركات ستفوق بركات أبوي يعقوب، وستكون تاجًا على رأس يوسف باعتباره نذيرًا حقيقيًّا (العدد ٦)، ورمزًا للرب يسوع، إلى جانب كونه تمهيدًا لبركات الدهر الآتي (تكوين ٤٩: ٢٦). وأخيرًا، يمثِّل بنيامين السلطان والقوة التي لا تُقهَر التي سيظهرها المسيح في الملك الألفي القادم (تكوين ٤٩: ٢٧).

طلب يعقوب، الذي كان مرتبطًا ارتباطًا لا ينفصم بأرض الموعد، أن يُدفَن هناك (تكوين ٤٩: ٢٩-٣٢). ويوضح تكوين ٥٠ كيف حقق يوسف رغبات أبيه، بتأييدٍ من فرعون (تكوين ٤٩: ٣٣-٥٠: ١٤).

## إله يعقوب

يبيِّن هذا اللقب الخاص للّه كيف ربط اللّه نفسه بيعقوب رغم إخفاقاته، وذلك لأن اللّه كانت لديه خطة ليعقوب ولشعبه. وهذه الخطة ليست مساوية لخطته للكنيسة، المعلومة سابقًا من قبل تأسيس العالم، بحسب قصد الدهور (أفسس ٣: ٩-١١). فإن إله يعقوب يتعامل مع شعبه الأرضي، وسوف يتمِّم خططه رغم إخفاقات إسرائيل الكثيرة.

قال موسى عن اللهّ إنه «إِلَهُ إِبْرَاهِيمَ وَإِلَهُ إِسْحَاقَ وَإِلَهُ يَعْقُوبَ» (خروج ٣: ٦، ١٥؛ ٤: ٥). لكن، عندما استرجع داود تاريخه بصفته الملك الممسوح من اللهّ، قال إن اللهّ هو "إِلَهِ يَعْقُوبَ" (٢صموئيل ٢٣: ١). وهذه التسمية تشدِّد على تعاملات اللهّ التأديبية مع خاصته كي يجعلهم في تناغم معه. لكن مع موسى، كان التركيز منصبًّا على ما فعله اللهّ لأجل ذاته ولمجده. فرغم كل أنواع المتاعب التي واجهها داود، عرف مَن هو إله يعقوب بالحقيقة (مزمور ٢٠: ١-٥؛ ٤٦: ٧، ١١؛ ٧٥: ٩). كما ستعرفه أيضًا في المستقبل البقية من شعب إسرائيل عندما يؤمنون به في أثناء الضيقة العظيمة (مزمور ٧٦: ٦؛ ٨١؛ ٨٤).

يلخص مزمور ١٤٦: ٥ بعبارات جميلة المعونة التي تأتي من عند إله يعقوب، الذي هو أيضًا رجاؤهم ورجاؤنا. ففي الملك الألفي الآتي، ستكون أورشليم هي المركز الذي فيه ستكرم الأمم إله يعقوب، في الموضع الذي التمس داود أن يبنيه له (أعمال الرسل ٧: ٤٦). نفذ سليمان هذه الخطط لمجد اللهّ (أعمال الرسل ٧: ٤٧). لكن شعب إسرائيل لم يقدِّروا عظمة اللهّ وجلاله، مع أنهم كانوا شعب إله يعقوب. فقد رفضوا مسياهم، ابن اللهّ الحي. لكن "إله يعقوب" سيقودهم إلى التوبة. وسوف تتحقق خططه!

إن الإله العظيم، إله كل النعمة الذي ينجح منذ ٤٠ قرنًا في تغيير حياة انسان " أعوج" وملتوي "كيعقوب" المتعقب لرغباته – كمعني اسمه- إلى إسرائيل وإلى الأبد! (عبرانين ١٣: ٨).

إن أكبر الدروس التي نستخلصها من حياة الآباء القدامى في كلمة اللّه. وفي المقدمة منهم في ذلك "يعقوب". بل وفي حياة كل منا نحن اليوم أن اللّه يقدر أن يغيرنا، ويبدل حالنا، ويصحح مسارنا، ويضمن مصيرنا! وهل هناك خبرًا أروع من ذلك؟

صحيح أن يعقوب احتاج -كمؤمن - إلى سنوات من التدريب والتأديب. لكن صحيح أيضًا أن كل خاطئ فينا يستطيع التوبة والرجوع إلى اللّه في أي لحظة معترفًا بخطاياه، مؤمنًا بكفاية المسيح لخلاصه الأبدي فينال في الحال نصيبًا مع المقدسين وأهل بيت اللّه، فينصلح حاله، ويتبدل مساره، ويضمن مصيره!

قارئي العزيز: هل تلك حصتك من نعمة اللّه المخلصة بعد؟ وماذا تنتظر؟ إن الغد قد يكون متأخرًا جدًا جدًا!

ف.ب. ماير

# حفر الآبار

«لأَنَّ شَعْبِي عَمِلَ شَرَّيْنِ: تَرَكُونِي أَنَا يَنْبُوعَ الْمِيَاهِ الْحَيَّةِ، لِيَنْقُرُوا لأَنْفُسِهِمْ أَبْآرًا، أَبْآرًا مُشَقَّقَةً لاَ تَضْبُطُ مَاءً»
(إرميا ٢: ١٣)

لعله لم تمضي سوي فترة وجيزة جدا! بين دعوة إرميا وبدء خدمته المقدسة. حينما يختار روح الله نفسًا لكي ينطق على لسانها فإنه يتخذ الوسيلة اللازمة لإتمام ذلك بمنتهي السرعة. إن الصعوبة في وضع أسلاك البرق في أعماق المحيط ولكنها متى وضعت سرت الرسائل كوميض البرق. هكذا يخبرنا الوحي أن هذا الشاب المتقد غيرة قد صارت إليه كلمة الرب (ص٢: ١). وإذ وصلت إليه سرت في نفسه هزة عنيفة.

إنه لم يبال كثيرًا بالصراع العنيف المحتم الذي أنبأه به الله، ولم يحاول أن يدرك مدى الاضطهاد الذي سوف يلقاه. لقد قيل له أن الملوك والرؤساء، الكهنة والشعب، سوف يحاربونه. ولكنه بإيمانه الحديث كان تفكيره – لأول وهلة – في

رفقة اللّه الذي وعد بأن يجعله مدينة حصينة، وعامود حديد، وأسوار نحاس على كل الأرض أكثر من تفكيره في تلك المتاعب.

تأمل كيف يكشف اللّه لنا النقاب عن المستقبل بكل رقة. ويقودنا خطوة فخطوة. هنالك فرق بين رجاء الشباب الواسع المدى وبين اختبار الرجولة، فالاصحاحات الأولي من سفر إرميا تختلف كل الأختلاف عن مراثيه، كما يختلف الربيع بنضارته عن الخريف بأوراقه الذابلة.

حينما نتأمل في أقوال أعمال هذا النبي، الذي كان أقرب إلينا نحن عامة البشر، لنتجاوز عن صرخاته الأسيفة ودموعه وصلواته، ونتأمل في الرب يسوع المسيح، ابن الإنسان، الذي انطبعت مقدمًا روحه الرقيقة في عبده إرميا، وانعكست في حياته. إن اللّه في كل جيل يعمل عن طريق عبيده لمحابة الخطية بكل صورها، وساعيًا لنشر ملكوته، ملكوت البر والسلام والفرح . في كلمات إرميا نجد توسلات اللّه القوية واحتياجاته الشديدة. في صلوات إرميا نستمع إلى أنات وشفاعات الروح القدس التي لا ينطق بها، في صراع إرميا وجهاده نتلمس خصومه اللّه للحم والدم وولاة العالم على ظلمة هذا الدهر. في مراثي إرميا نشهد حزن اللّه على عناد البشر كان أمام إرميا (الذي كان كاهنًا ونبيًا لأورشليم التي بناها داود وسليمان) طريق يسلكه لكي يقدم إلينا - في مرآة حياته الغامضة - صورة عن صليب وأحزان الكاهن والنبي الحقيقي لأورشليم المفدية.

### ١. مسئولية النبي المزدوجة التي تثقلت بها نفسه:

ينما بدأ إرميا خدمته، وغادر عناثوس إلى أورشليم لهذه الغاية (ص٢:١)، كان يوشيا في الحادي والعشرين من عمره، وكان قد قضى ثلاث عشر سنة في الك

الحكم. كان الملك قد بدأ تلك الاصلاحات التي وإن نجحت في تأجيل خراب المدينة والأمة، إلا أنها لم تنجح في رد ذلك القصاص. كانت جهوده العنيفة متجهة إلى ابادة كل أثر للعبادة الوثنية من بين الشعب «وَهَدَمُوا أَمَامَهُ مَذَابِحَ الْبَعْلِيمِ، وَتَمَاثِيلَ الشَّمْسِ الَّتِي عَلَيْهَا مِنْ فَوْقُ قَطَعَهَا، وَكَسَّرَ السَّوَارِيَ وَالتَّمَاثِيلَ وَالْمَسْبُوكَاتِ وَدَقَّهَا وَرَشَّهَا عَلَى قُبُورِ الَّذِينَ ذَبَحُوا لَهَا. وَأَحْرَقَ عِظَامَ الْكَهَنَةِ عَلَى مَذَابِحِهِمْ وَطَهَّرَ يَهُوذَا وَأُورُشَلِيمَ» (٢ أي ٣٤: ٤، ٥).

لابد أنه كان هناك نعيق شديد جدًا بيت تلك الغربان التي كانت تعشعش منذ سنوات طويلة في تلك الأشجار التي قطعت. فإن العبادة الوثنية كانت قد ظلت نحو سبعين عامًا تسود البلاد بأرجاسها ونجاساتها.

وقد كانت التصرفات الماجنة والطقوس المشينة التي أباحت الرذيلة كجزء من الديانة، كانت هذه تتفق مع ذوق الشعب المعكوس. ولا شك في أن يوشيا في أوائل حكمه قد قوبل بالسخط الشديد والبغض والحنق من الكهنة ومن الرعية فكانت النتيجة (أولاً) أن الإصلاح أصبح سطحيًا جدًا، ولم يؤثر في الحياة الداخلية. (ثانيًا) أن سياسة الاصلاح هذه أدت إلى تكوين حزب سياسي اعتزم تقوية علاقات التحالف مع مصر، التي كانت قد جاهدت تحت قيادة ابسمانيك حتي أفلتت من حماية ملك أشور ونالت استقلالها حين ذاك. إزاء هاتين النتيجتين دعي هذا النبي الشاب لكي يبذل جهودًا جبارة.

(أولاً) أنه احتج ضد الخطية السائدة حوله. كانت فكرة الشعب الوحيدة هي أن يحتفظ بالاعتراف الظاهري بالرب، باستبقاء خدمات الهيكل طقوسه المختلفة. وتوهموا بأنهم طالما كانوا محتفظين بها بكل دقة فلا داعي لاتهامهم بخطية الارتداد. لقد كانوا يصرون بانهم لم يتنجسوا (ص٢: ٢٣)،

وكانوا يرددون هذا القول بشكل ممل «هَيْكَلُ الرَّبِّ، هَيْكَلُ الرَّبِّ، هَيْكَلُ الرَّبِّ هُوَ» (ص٧: ٤).

كانت مهمة إرميا أن يبين بأن مجرد المظاهر الدينية الخارجية لا تقتصر على أنها عديمة الجدوى بل هي شر عظيم، وتؤدي إلى الابتعاد عن اللهّ. فما مثلها إلا مثل تورد الوجنتين في حالة التدرن الرئوي، لأنها تخفي تحتها سوس الفساد ينخر الجسم كله حتى يصل إلى القلب. ومثل الزهور على حافة الهاوية تخفي تحتها الهوة السحيقة. إن الارتكان على مجرد مظاهر العبادة الخارجية يتفق مع أشر نواع العبادة الوثنية لأن القلب يتذرع بالتقوي لصد كل سعي لإصلاحه.

هذا يفسر لنا الكلمات الصريحة النارية التي بها يهاجم النبي الشاب الخطية بكل قوة وغيرة. وفي كلماته اللاذعة لا يستثني الكهنة أو مفسري الشريعة، ولا الرعاة والأنبياء (ص٢: ٨). ويذكر وادي هنوم بممارساته الكريهة الوحشية دليلاً على تماديهم في الشر (ع٢٣). ويبين كيف أن دماء الأطفال الأبرياء الذين كان يطوح بهم في النيران قد لوثت ثيابهم (ع٣٤)، وأن الأشجار تنطق بما ارتكبوه من نجاسات تحت ظلالها، والصخور تخبر بما لا يستطيعون اخفائه (٢: ٢، ٣: ٦). وقد استخدم النبي كل تشبيه واستعارة ممكنة ليبين للشعب خيانتهم للهّ محبهم وفاديهم (٣: ٢٠).

(ثانيًا) كانت تقع مملكة كنعان الصغيرة بين الإمبراطوريتين المتنافستين المتراميتى الأطراف، اللتين قامتا علي ضفاف النيل والفرات، كما تقع سويسرا بين فرنسا والنمسا. لذلك كانت دومًا معرضة لمرور الجيوش الجرارة المغيرة،

كالجراد في كثرتها وفي التهامها لكل شيء، كما كانت معرضة لأغارة أحدي الجيارتين.

وكانت سياسة أحد الأحزاب القوية في البلاط الملكي في أورشليم على الدوام أن تنشأ محالفة مع مصر أو مع أشور. كان الميل نحو أشور أيام حزقيا ومنسى. وفي الوقت الذي نتحدث عنه كان متجهًا نحو مصر التي تحررت من النير الذي حاول آسر حدون (ملك أشور) في ثلاث غارات أن يذلها به.

وقد قاوم إرميا هذه المحاولات بكل قوة. لأنه لماذا يرتبط شعبه بنصيب أية أمة وثنية مهما كانت؟ ألم يكن الله ملكهم؟ ألا يكفيهم أن يكون الرب معينهم في أوقات الشدة؟ يقينًا أن سياستهم السليمة كانت أن يقفوا وحدهم، دون اتقيد بمحالفات أجنبية، معتمدين فقط على قوة القدير، وخدمة المصالحة، والولاء لناموسه، والتسليم التام لأرادته «وَالآنَ مَا لَكِ وَطَرِيقَ مِصْرَ لِشُرْبِ مِيَاهِ شِيحُورَ؟(اي النيل الأسود أو المكدر) وَمَا لَكِ وَطَرِيقَ أَشُّورَ لِشُرْبِ مِيَاهِ النَّهْرِ؟» (ص٢: ١٨، ٣٦، ٣٧).

إذن فقد كانت هذه هي مهمة إرميا؛ أن يقف وحيدًا، وأن يحتج ضد خطايا شعبه التي كانت تستتر وراء افتخارهم بعبادة الرب الذي كانوا يعبدونه كحارس لبلادهم مع الآلهة الكاذبة الكثيرة وأن يقاوم سياسة العرش التي كانت ترمي إلى إيجاد علاقات ودية مع القوة التي يبدو أنها تستطيع أن تقدم المعونة لبلاده في الصراع العنيف مع مملكة الشمال التي كانت على وشك الإغارة عليها (ص١: ١٥).

وقد قام إرميا بهذه المهمة أمام مقاومات عنيفة جدًا. هنا نرى كاهنًا يفضح خطايا الكهنة، ونبيًا يُشهر بأكاذيب الأنبياء والكهنة ويتهمهم بشفاء جرح

بنت شعبه على عشم قائلين: "سلام سلام" حيث لا أثر للسلام، لذلك لا نعجب إن وجدنا أقوى الأحزاب في الدولة قد تآمرت ضده، كما اتفق بيلاطس وهيرودس فيما بعد ضد المسيح.

## ٢. التشبيه الذي استخدمه:

هو منظر بين الجبال. في تلك الغابة الخضراء تنفجر المياه المثلجة من حد الينابيع، وتسيل إلى الوادي كحبل فضي. وذلك لتستطيع أن تستمع إلى خرير هذه المياه الذي هو أشبه بالموسيقي، وتتبع أثرها بما يحف بها من روضة خضراء دائمة الفيضان بغزارة للطفل الصغير كما للشيخ الهرم، لسكان القرى كما لسكان المدن الكبرى. على أن الشاطئين لا يرتادهما أحد، لا يغترف من الميه الصافية أحد، وأصبح الينبوع مهجورًا من الجميع كأنه قد جف.

وعلى مسافة بعيدة من ذلك الوادي الأخضر تستمع إلى صوت الفؤوس تعمل في الأرض، وللحال تكتشف غن الناس من كل الأعمار ومن كل الطبقات منشغلين في حفر آبار لسد حاجاتهم.

ثم ندرك أن العرق يتصبب من جباههم لأنهم يكدرون بكل قوتهم في الحفر في الصخر الصلد من الفجر إلى الليل البهيم. لا يريدون الانتفاع بأدوات العصور السالفة، ولا بالآبار التي تركها آباؤهم بعد حفرها إلى نصفها. فكل له طريقته وكل له غرضه. أنظر إلى ذلك الرجل الذي يعمل في الربيع حينما يكتسي وجه الأرض بحلة سندسية خضراء، كما يعمل في قيظ الصيف حينما تكون في الصخور كأفران ملتهبة... وإذ يكون الآخرون منشغلين في قطف العنب أو حصاد الحنطة يظل هو ملازمًا في زمهرير الشتاء مهما كلفه من نصب... وبعد أن يكد في عمله سنوات قد يدرك غرضه، ويتمم حفر البئر

التي عمل فيها طويلاً. فيدعو جيرانه ليشـــهدوا عمله الذي عمله الذي قد أُكمل وينتظر هطول الأمطار. وللحال تتصـــبب فيمتلئ قلبه عجبًا وزهوًا وســرورًا من أجل المياه الغزيرة التي اســتطاع أن يخزنها. ولكنه للأســف يدرك فورًا بأن المياه ليس لها أثر. لأنها حالما تنزل البئر تتســرب منها فإن في قاعها ثلمة تتسرب منها المياه فورًا أو لعل المسام في بعض الأحجار وفيرة. وأخيرًا يجد ما وجده كل جيرانه، أو ما ســوف يجدونه إن الآبار لن «تضــبط ماء» مهما اتخذ من حيطة.

ياله من خطأ واضــح وجهل فاضــح إن يترك الينبوع الذي يفيض مجانًا بوفرة وغزارة ليروي العطشان، وتحفر الآبار المشققة التي فيها الخيبة والفشل واليأس. على أن هذه كانت هي الحال تمامًا مع إسرائيل كما قال النبي. فإنهم فعلوا ما لم تفعله أمه أخرى من أقســي الغرب في كتيم إلى أقصــي الشــرق في قيدار. لأن الأمم الوثنية على الأقل كانت موالية لآلهتهم، والديانات الكاذبة ملازمة البلاد التي نشــأت فيها. كانوا لا يعبدون إلا نفس الأصــنام ولا يؤدون إلا نفس الشــعائر، ولا يصــلون إلا في نفس الهياكل، هم وكل الانســال المتعاقبة. أما شــعب الرب فقد تركوه «تَنْسَــــى عَذْرَاءُ زِينَتَهَا، أَوْ عَرُوسٌ مَنَاطِقَهَا؟ » (ع٣٢) وبالالتجاء للديانات الكاذبة والعبادات الوثنية قد حفروا لأنفســـهم أبارًا مشققة تسبب لهم الخزي والفشل وقت الحاجة.

وبكل رقة وعذوبة ينكرهم النبي بالماضــي، فإن غيرة صــباهم ومحبة خطبتهم (ع٢) وقداستهم للرب، والنشيد الذي رفعوه لله لدى نجاتهم على شاطئ البحر الحمر، هذه كلها تتنافي مع الشــرور الجســيمة التي جلبت اللعنة والعار على البلاد. وعلى شفتي النبي يسمع صوت الله يسألهم عن سب هذا الارتداد

المخزي. ولدي التأمل في الاصحاح نجده مليئًا بالأسئلة، كأن اللّه يريد أن يبين لهم علة تركهم أباه ««مَاذَا وَجَدَ فِيَّ آبَاؤُكُمْ مِنْ جَوْرٍ حَتَّى ابْتَعَدُوا عَنِّي وَسَارُوا وَرَاءَ الْبَاطِلِ وَصَارُوا بَاطِلاً؟.....هَلْ صِرْتُ بَرِّيَّةً لإِسْرَائِيلَ أَوْ أَرْضَ ظَلاَمٍ دَامِسٍ؟ لِمَاذَا قَالَ شَعْبِي: قَدْ شَرَدْنَا، لاَ نَجِيءُ إِلَيْكَ بَعْدُ؟» (ع٥، ٣١).

ليس شيء أمر على النفس البشرية من الجفاء بعد المحبة، إذ تضطر للجلوس على الشاطئ لنرقب تناقص تيار المحبة قليلاً فقليلاً من أعلى حد وصلته. هذا يأخذ البصر من العينين ويحد من نشاط الرجلين. وهيهات أن تعود الحياة كما كانت من قبل. قد تعود المحبة مرة أخرى، ولكن هذا لن يزيل أثر تلك الحالة الأليمة السالفة، ولن يلاشى الخوف من أن تعود مرة أخرى. هذه تصور لنا الآلام التي أحس بها القدير إذ رأى إسرائيل يترك إلهه، الذي أسدى إليه كل ذلك الخير الجزيل، ويتبع الغرباء. كان أليمًا حقًا ان يسمعهم يقولون «لِلْعُودِ: أَنْتَ أَبِي، وَلِلْحَجَرِ: أَنْتَ وَلَدْتَنِي» (ع٢٧). لقد كان ارتدادهم عن اللّه بمثابة ترك المرأة لرجلها واتباعها رجلاً أخر (ص٣: ١).

## ٣. تطبيق هذا على أنفسنا:

قد يقرأ هذه الكلمات كثيرون مع حافري الآبار، كل له نفسه المتعطشة يتوق إلى ارووائها، كل يستطيع الاتصال بسهولة باللّه الذي فيه كل شبع وري لكل نفس متعطشة. على أن الجميع يحاولون المستحيل إذ يسعون لإشباع النفس بالآبار البشرية يوجد بئر المسرات العالمية، وهذا نجده مزينًا بالثمار اليانعة والزهور الرائعة، ولكنه لا يحفر إلا على حساب الصحة والراحة والسعادة. وبئر الثروة، وهذا مرصع باللآلئ النفسية. وبئر الصيت والشهرة، وهذا يحفره الشاب الذي ينتزع نفسه من بين الأهل والاصحاب ويصعد إلى أعالي قمم

الجبال الموحشة بعيدًا عن كل منافسة، بل بعيدًا حتى عن رفقة البشر. وبئر المحبة البشرية التي مهما كانت جميلة لأنها قبس من نور المحبة الإلهية فإنها لن تشبع النفس إن كانت تعتمد عليها وحدها. كل هذه الآبار، التي تكلف ثمنًا غاليًا جدًا، سواء من جهة الوقت أو الجهود التي تبذل في حفرها، لا يمكن إلا أن تسبب الخزي والفشل، وتضل صاحبها كالسراب: يعبر عنها إرميا بأنها «آبار مشققة لا تضبط ماء» وفي وقت الشدة لن تستطيع أن تخلص الذين حفروها ووثقوا فيها.

أيها المسكين، يا من أُنهكت قواك في حفر الآبار، تطلع تحت قدميك تجد ينبوع محبة اللّه يفيض بغزارة. ينبغي أن تنزل إلى مستوي الينبوع إن أردنا أن تصل مياهه إلى شفاهنا التي أحرقها جفاف العطش. لقد طوحت فعلاً بآلات الحفر التي استخدمها، وتعبت من الجهود التي بذلتها: استمع إلى الموسيقي التي تملأ الجو حولك بنغماتها الملائكية وأصواتها الشجية قائلة لك «ارجع إلى اللّه. اعمل الأعمال الأولي» اترك كل المخالفات والعبادات الوثنية التي فصلتك عن صديقك الأوحد. أفتح قلبك لكي يفيض فيك ينبوع المياه الحية الذي ينبع إلى حياة أبدية. الروح والعروس يقولان تعال. ومن يسمع فليقل تعال. ومن يعطش فليأت. ومن يرد فليأخذ ماء حياة مجانًا.

بدأ يعقوب حياته متعقبًا لرغباته مصارعًا ومخادعًا لكل مَنْ حوله، ولأقرب مَنْ له. ولكن يد الفخاري الأعظم، إله كل نعمة امتدت إلى هذه الحياة التي بكل المقاييس الإنسانية لا يمكن أن تنجح أو تلاقي بركة واحدة، وأعادت تشكيلها عبر السنين والضغوط والصدمات والمرار وفشل التخطيط البشري...الخ الخ لتصل بها إلى نهاية مجيدة لم يصل إليها آباؤه حتى!!

حيث بارك كالأكبر؛ أعظم شخص في العالم في يومه (فرعون مصر) (تكوين٤٧: ٧ مع عبرانين ٧:٧)! إن مدرسة اللّه التي يلزمنا في نعمته ومحبته أن ندخلها هي مدرسة عجيبة لا نظير لها...هو فيها له المجد المدرِّس، وموضوع الدرس.. يعطينا الدروس بنفسه نظريًا وعمليًا أيضًا! ويصبر علينا صبر المعلم العظيم على التلميذ الفاشل حتى يخرج من بين يدي الفخاري وعاءً آخر كما يحسن في عيني الفخاري أن يصنعه!!

حقًا «فَتَوَاضَعُوا تَحْتَ يَدِ اللهِ الْقَوِيَّةِ لِكَيْ يَرْفَعَكُمْ فِي حِينِهِ» (١بط٥: ٦)!

# رموز تُشير إلى المسيح

ما أكثر وأغزر الرموز والإشارات والظلال التي نجدها في أسفار العهد القديم التي تحدثنا بكل وضوح عن شخص المسيح، وعن عمله الكامل على الصليب. إنها خيوط إلهية ذهبية تربط كلا العهدين معًا، وتنفي قطعيًا فكرة إلغاء الجديد للقديم أو إحلاله.. ومن خلال وحدة الكتاب المقدس نجد الله واحد في كل الكتاب! صحيح أن التدابير تختلف وتتميز لكن الكتاب واحد، والموضوع واحد، والله الكاتب واحد كذلك!

ولعل أبرز هذه المفاتيح عن الإشارات والرموز إلى المسيح وصليبه في كتب العهد القديم هي:

١. شخصيات تشير إلى المسيح: في آلامه، وفي أمجاده.

٢. ملاك الرب كثيرًا وحسب القرينة كان هو الرب يسوع نفسه.

٣. ذبائح وتقدمات تشير كلها على المسيح وعمله الكامل على الصليب.

٤. أَكَلاَت تشير إلى المسيح: كل ما كان يؤكل في العهد القديم يحدثنا عنه!

٥. خَلِيقَة عَجْمَاءْ تشير إلى المسيح، لاسيما في سفر المزامير: كالعصفور والدودة والحمامة.. الخ.

٦. أشياء تشير إلى المسيح مثل فُلْك نوح وسُلَّم يعقوب وخيمة الإجتماع...الخ.

٧. نبوَّات تشير إلى المسيح: منذ ولادته ومرورًا بحياته وموته ثم قيامته ومجده.

٨. شرائع تشير إلى المسيح، وتمتلئ بها أسفار الشريعة (التوراة).

٩. أمثال تشير إلى المسيح وخصوصًا الحكمة في سفر الأمثال.

١٠. العريس بحسب العهد القديم لاسيما سفر التثنية هو المسيح.

حتي يمكننا القول...أيها الرب سيدنا...ما أمجد اسمه في كل الكتاب!!

❋ لم يفكر يعقوب أولاً في اللجوء إلى الله ق بل أن يضع هو خططه لنفسه... وهذا فشل.

❋ م صارعة ا لرب ليع قوب أظ هرت كم هو ضعيف وعنيد!!

❋ أمام إله ب يت إ يل شعر يع قوب أ نه وبي ته بحاجة إلى التطهير والقداسة.

❋ ك يف ا ستطاع شخص مل توي كيع قوب أن يجد نع مة لدى ا لرب؟ يا له من إ له كل نعمة!!

❋ إلى م تى ن عيش لأنف سنا ون صارع مع الله، عوضًا عن اللجوء إليه باتضاع لتغييرنا؟

❋ ا لزرع والح صاد م بدأ إ لهي... ع لى أن الله يعرف أن يخرج من المرارة حلاوة أيضًا.

❋ في نهاية حياة يعقوب ظهرت الحكمة الناتجة عن مدرسة الله الطويلة الأمد.